

مروان بشارة

# بيل كلنتون

الحملة، الإدارة، والسياسة الخارجية



# بيل كلنتون

الحملة، الإدارة، والسياسة الخارجية



© دار الساقى جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى ١٩٩٣

ISBN 1 85516 629 1

DAR AL SAQI

United Kingdom: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH  
Lebanon: P.O.BOX: 113 / 5342, Beirut.

دار الساقى ص.ب. ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان





## استحقاقات الديون

كان لا بد من وجود تحدٍ وضرورة لإنتاج هذا الكتاب. أما التحدي وما ترتب عليه من عذاب في النقاش والحوار والصدام فكان من اختصاص جوزيف سماحة الذي لولاه لما صدر هذا الكتاب وكان مصيره مثل محاولات أخرى على هذا الصعيد. أما الضرورة فجاءت نتيجة عدم صدور أي مادة وافية باللغة العربية عن هذا الموضوع المهم الذي يؤثر في مستقبل منطقتنا سوى بعض الترجمات لـ «أخصائيين في الشرق الأوسط».

أما على صعيد تجميع المواد اللازمة وبالسعة المطلوبة، فكان لمساعدة مارغاريت لوروا وموظفي مكتبة بنيامين فرانكلين في باريس أهمية كبيرة نظراً لغزارة المادة المنشورة وتعدد المصادر. كذلك؛ لا بد من شكر سيده بيدرو وإيمان فروخ وأرليت خوري وشان دويباغو، إضافة إلى سيلفي إيزامبير وغيتي بيلي من مركز التوثيق في المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية، والصديقين حازم صاغية وعلي نون.

في واشنطن كان الحوار مع أمريكيين وعرب، بالرغم من الاختلاف في الرؤيا بيننا، مفيداً جداً. وهنا لا بد من ذكر عميد السلك

بيل كلنتون

الدبلوماسي العربي (بالنيابة) وسفير اليمن السيد محسن العيني، ومدير  
الرابطة الوطنية العربية الأمريكية خليل جهشان، والباحث محمد  
حلاج إضافة إلى آخرين كثيرين لا يسعنا ذكرهم جميعاً إلى كل هؤلاء  
الشكر.

## مقدمة

انتخب بيل كلنتون رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية بناء على مجموعة من المعطيات السياسية والاقتصادية والفكرية المحلية والدولية. وثمة نظريتان متناقضتان تفسران هذه المعطيات، بلور الأولى بول كندي في كتابه «صعود وانحطاط القوى العظمى» الصادر في عام ١٩٨٩ وصاغ الثانية فرنسيس فوكوياما في مقالته عام ١٩٨٩ ثم في كتابه «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» في بداية التسعينات.

ومن المقدر أن تكون سياسة كلنتون الخارجية مزيجاً من استثمار «ربح» معركة التاريخ، والتعويض عن «خسارة» أمريكا لمعركة التنافس الاقتصادي مع القوى الأخرى واليابان بشكل خاص. لا بد إذن من استعمال الربح الذي أشار إليه فوكوياما للخروج من الانحطاط الذي يحذر منه كندي.

نقطة الجمع بين النظريتين هي اعتبار الديمقراطيات الغربية مركز العالم ومحوره فيكون كل ما عداها إما خارج التاريخ أو موضوعاً للتنافس الاقتصادي، وهكذا يمكن لسياسة واشنطن أن تعتمد القوة ضد الخارجين على التاريخ أو أن تجعلهم ميداناً للتنافس الغربي -

الغربي . ويجب الاعتراف أن الفرق بين الحالين شبه معدوم .

إن المضمون الدولي لسياسة الإدارة الجديدة هو الذي سيوضح الفرق بين استراتيجية المدى القصير لاصلاح الاقتصاد الأمريكي واستراتيجية المدى الطويل للإصلاح الاقتصادي إياه . يمكن للولايات المتحدة أن تخرج من الركود الاقتصادي وتتقدم نحو حدٍ من الانتعاش عن طريق سياسةٍ تقوم على تدخل الدولة والتعاون بين القطاعين العام والخاص ، إلا أن التجديد الاقتصادي الذي تحتاجه أمريكا لتعزيز قدرتها التنافسية حيال الدول الصناعية الأخرى يحتاج إلى خطة مديدة وكونية . ولا يجوز الاكتفاء هنا بتغيير جدول الأولويات الاقتصادية الأمريكية .

أما شرط تجديد الاقتصاد الأمريكي المدوّل فهو تأمين قيادة واشنطن للعالم واستقطاب الدول الأخرى تحت الراية الأمريكية وفرض الرأي في القضايا التجارية والاستثمارية ، الأمر الذي يتطلب قطعاً قوة عسكرية سياسية واقتصادية معاً .

إن أمريكا القوية محلياً هي وحدها التي يمكن أن تكون قوية في العالم . كان هذا شعار الرئيس لحملة بيل كلنتون الانتخابية ، لكن ، وتأسيساً على ذلك ، فإن أي ضعف يصيب الموقع الأمريكي في الخارج يتحول مباشرة إلى اضعاف للاقتصاد الأمريكي في الداخل . ويجب أن نشير هنا ، إلى أن الولايات المتحدة إنما حافظت على قوتها في المجالات التي تعرضت إلى أكبر قدر ممكن من التدويل .

فسلع مثل كوكاكولا والقمح والروك والجينز ، ومؤسسات مثل وكالات الإعلام وهوليوود ووسائل مثل الوزن الدبلوماسي والدور في

المنظمات الدولية والأربع مئة وخمسين ألف جندي خارج الحدود، هذه كلها عوامل يمكن أن تلعب لصالح الاقتصاد الأمريكي، ولربما كان أكثر التصريحات تعبيراً عن ذلك ما قاله كلنتون عند تسلّم ولايته من أنه ما من عطب في أمريكا إلا ويمكن اصلاحه بما هو معافى في أمريكا. لقد ارتفعت الصادرات الأمريكية بين سنوات ١٩٨٥ و١٩٩٢ من ١٦٥ مليار دولار إلى ٣٧٠ ملياراً، وهذه العملية التي تبدو في تصاعد متواصل هي أهم ما يساعد الاقتصاد الأمريكي حالياً. كذلك فإن استيراد الولايات المتحدة الكثير من المواد الأولية، ونتاج الصناعات الخفيفة من الدول التي تستورد البضائع الأمريكية المتطورة يعني عملياً نمونوع خاص من العلاقة التجارية الاقتصادية بين الولايات المتحدة والعالم تزداد ترابطاً، وتصب في منحها العام في المصلحة الاقتصادية الأمريكية. وعلى سبيل المثال بقيت أسعار البترول على حالها تقريباً منذ عقدين، بينما ارتفعت أسعار المنتوجات الصناعية المتطورة إلى حد كبير، الأمر الذي عنى توفيراً في الواردات وربحاً في الصادرات، وضرورة في إيجاد أسواق جديدة.

وهناك ثلاثة عوامل ستتحكم بتحديد السياسة الخارجية الأمريكية في السنوات المقبلة:

أولاً: البرنامج السياسي الاقتصادي الذي طرحه بيل كلنتون المرشح والذي سيحاول تطبيقه بيل كلنتون الرئيس.

ثانياً: نوعية التعيينات في الوزارات المسؤولة عن السياسة الخارجية والدفاع والاقتصاد، والعلاقة بين هذه الوزارات، ونوعية اللجان المشتركة العاملة من خلال مجلس الأمن القومي.

ثالثاً: القاعدة العسكرية السياسية الاقتصادية التي تطورت في الاثنتي عشرة سنة الماضية والتي تذهب من تحضيرات البنتاغون اللوجستية وتطوير الأسلحة وبلورة استراتيجية ما بعد الحرب الباردة، لتمر بانحلال القاعدة الثقافية، وتصل إلى تفاقم الديون الداخلية والخارجية والعجز في الميزانية وتراجع القدرة التنافسية وانخفاض الاستثمار في الصناعة إلى أقل نسبة بين الدول الصناعية المتقدمة.

تشهد أمريكا اليوم سابقتين: تنتخب للمرة الأولى بعد الحرب الباردة رئيساً لها وتختار لذلك رجلاً مولوداً بعد الحرب العالمية الثانية. ويفترض بهذا الرئيس الشاب أن يدير مؤسسة عسكرية وسياسية واقتصادية تطورت على مدار خمسين عاماً، أي منذ ما قبل ولادته، وتصلب عودها. لن يكون سهلاً عليه تغييرها فكيف إذا أضفنا إليها كل تعقيدات الوضع العالمي الجديد وتداخل اقتصاديات العالم ببعضها البعض والشبكة الهائلة التعقيد من اعتماد اقتصاديات العالم على بعضها البعض.

يدخل الرئيس الجديد إلى البيت الأبيض في وقت تصل الأسواق المالية العالمية إلى ذروة تشابكها. ويكفي دليلاً على ذلك أن أسعار الأسهم المتداولة في بورصة نيويورك، وفي اليوم الواحد، تكاد توازي الميزانية العامة الفرنسية لسنة كاملة. من جهة أخرى يبلغ الاستثمار الياباني في سندات الخزينة الأمريكية عشرات المليارات من الدولارات فضلاً عن أن الحكومة الأمريكية غارقة حتى الأذنين في ديونها للبنوك اليابانية.

يمكن القول، من دون الدخول في التفاصيل، ان هذه الإشارة

السريعة إلى حجم التداخل الاقتصادي تصح في المجالين السياسي والعسكري وتعطي حصيلتها فكرة حول المهام المركبة والمعقدة التي تواجه أي رئيس أمريكي والرئيس الجديد بصورة خاصة .

ثمة سؤالان ملحان . الأول، كيف استطاع بيل كلنتون حاكم ولاية لا يزيد عدد سكانها عن عدد سكان بروكلين في ضواحي نيويورك أن يهزم الرئيس جورج بوش، أما الثاني والأهم فهو يتناول الكيفية التي سيحكم بها رجل بات في قمة السلطة وهو يملك خبرات مؤكدة إنما محدودة .

يطرح هذين السؤالين كثيرون ممن أيقظهم انتخاب الرئيس الجديد . قد يكون بيل كلنتون شخصاً مجهولاً في الأوساط الدولية . وهو كذلك . أما في الأوساط الحزبية والمؤسسية في الولايات المتحدة فإنه من أكثر قادة الحزب الديمقراطي شهرة ونفوذاً، لا بل أن مسيرته السياسية في ولاية أركنسو، أو في لجان الحزب الديمقراطي موثقة إلى حدٍ يمكننا معه القول اننا نعرف عن كلنتون - الشخص والسياسي - أكثر مما نعرفه اليوم عن بوش . يقال ذلك بعد نصف قرن من «الخدمة العامة» لبوش أمضى سنواتها الأخيرة نائباً للرئيس ثم رئيساً .

لقد حكم بوش الولايات المتحدة ظلماً لريغان ولكن من دون هذا الأخير ورجاله ومواقفه وبرنامجه وأيديولوجيته، وإذا كانت الرئاسة الأمريكية تمتحن أولاً وقبل كل شيء في التأثير الذي يتركه الرئيس على التشريع وجهاز الحكم فإن الرئيس بوش لا يمكنه أن يدعي الكثير في هذا المجال . لن يرتبط اسمه لاحقاً بـ «عقيدة» أو «مبدأ» أو اطروحة اقتصادية جديدة .

\*\*\*

إن أي اقتراب من فهم الأداء السياسي الخارجي للولايات المتحدة يستدعي دراسة دقيقة لسيرة الرئيس الجديد الشخصية والسياسية والانتخابية. لا بد، إذن، من التطرق إلى فوز بيل كلنتون في الانتخابات الرئاسية ليس بصفته «قصة نجاح» فحسب، بل كشرح لميكانيكية السياسة والانتخابات في الولايات المتحدة وكتقييم لدور كلنتون وبراعته في تسخير أليات الديمقراطية لصالحه. لقد لعبت خبرته الحزبية والسياسية دوراً كبيراً في استقطاب قيادة الحزب الديمقراطي والحصول على تأييد قطاعات أخرى مهمة في المؤسسة الاقتصادية الأمريكية. من هنا، سنحاول في هذا الكتاب التعرف على العناصر التي تفاعلت في السنين الأخيرة لتنتج رئيساً جديداً أصغر سناً من المعدل العام للساسمة الموجودين في واشنطن، وأقل منهم خبرة في القضايا الفدرالية والشؤون الخارجية. وتكتسب المحاولة أهميتها من أن كلنتون طمأن الناخب الأمريكي في خلال حملته إلى أنه امتلك الخبرة الكافية في اثناء ادارته لولاية أركنسو، ودلّل على ذلك بإنجازاته هناك. لكن خصومه استغلوا هذه النقطة بالضبط ضده قائلين ان الولاية اياها ليست فقيرة اقتصادياً فحسب، بل فقيرة ديموغرافياً أيضاً إذ لا يتعدى سكانها ٤, ٢ مليون مواطن في حين أن عدد موظفي الحكومة الفدرالية الذين يفترض بالرئيس الإشراف عليهم لا يقل عن ١, ٣ مليون موظف. إن سجل كلنتون في الولاية ليس جواز المرور الأفضل إلى الموقع الأول في الدولة الأمريكية.

متى تعرفنا إلى شخصية كلنتون التي تبلورت في السنوات الأخيرة يصبح مهماً، لمعرفة مقدراته والمفاهيم التي سيحكم من خلالها، تقييم التيار السياسي الإيديولوجي الذي حمله من ليتل روك إلى واشنطن. إنه

التيار الذي صعد عليه كلنتون للتأثير في الحياة السياسية الأمريكية وتوطيد موقعه في المؤسسات الحزبية والرسمية.

وهذه العلاقات التي نسجها كلنتون هي التي تفسر، كما سنرى لاحقاً، الدعم المالي والمؤسسي الذي حصل عليه عندما قرر خوض معركة الرئاسة، وسيبدو واضحاً عند التعرض إلى هذه النقطة حجم الدعم الذي تلقاه من القطاع الخاص والمصالح الفئوية ممثلة باللوبيات ومن ضمنها، إن لم يكن على رأسها، اللوبي اليهودي.

لم ينعكس هذا الدعم أموالاً لسد تكاليف الحملة الانتخابية فحسب، بل تعداه ليؤثر بصورة واضحة في تركيبة فريق العمل الذي أدار الحملة الرئاسية.

ستوقف، كذلك، عند المحطات التي مر بها كلنتون فأكسبته زاداً دفع إلى الأمام شهرته ومقدرته السياسية. وسيتبين أنه تكيّف واستفاد من كل هذه المحطات وأصبح أكثر «كفاءة» لقيادة الولايات المتحدة. لقد تعلم من فشله في تجديد انتخابه لحكم الولاية الجنوبية أن يكون أكثر «واقعية» و«براغماتية» و«دبلوماسية». إنها المحطة الشخصية. واستفاد من دوره السياسي في الجنوب والغرب من أجل الدفع في اتجاه تغيير مواقف الحزب الديمقراطي وإعادة جذب من تركوه مقترعين لريغان سنة ١٩٨٠. إنها المحطة الحزبية التي توجّها بالمحطة الوطنية الفيدرالية عبر الدور المهم والفعال الذي لعبه في رابطتي الحكام والحكام الديمقراطيين، وذلك قبل أن يبدأ الشوط الأخير الذي قاده إلى البيت الأبيض.

ماهية الرئاسة في نهاية القرن العشرين وكيف سيلور كلنتون

سياسته الخارجية، وخاصة في الشرق الأوسط هما الموضوعان الأخيران اللذان ستتطرق إليهما. وبالطبع لا بد من بعض الاستنتاجات، ومحاولة رسم الخطوط العريضة لطبيعة الإدارة الجديدة وسياستها وهذا ما سنفعله في الخاتمة.

## الفصل الأول

### رحلة كلنتون إلى البيت الأبيض

بدأت رحلة بيل كلنتون إلى البيت الأبيض في أول ثلاثاء من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٨٠. ففي ذلك اليوم هزم رونالد ريغان جيمي كارتر في الانتخابات الرئاسية، واكتسح الجمهوريون الولايات الغربية والجنوبية، ولفظت اركنسو كلنتون رافضة التجديد له حاكماً لها. صحيح أنه مسؤول، شخصياً، عن خسارته. ولكن ما لا يجب نسيانه هو «الثورة الريغانية» التي اجتاحت الولايات المتحدة، وأدت إلى حصول الحزب الجمهوري على أغلبية عددية في مجلس الشيوخ، وأغلبية سياسية في مجلس النواب جاءت من انضمام بعض ديمقراطي الجنوب والغرب إلى أطروحات الرئيس الجديد.

لم يُحَبَط كلنتون. على العكس. أخذ يعمل في مدن الولاية ومؤسساتها لمدة سنتين محاولاً التعرف على أخطائه والأسباب التي أدت إلى رفض الناخبين له. اكتشف أن في امكانه تغيير عاملين على الأقل لصالحه. الأول هو الكف عن «استيراد» الأفكار من خارج الولاية والإتيان بالمساعدين لغرسهم فيها بالقوة، والثاني، وضع حد للسلوك المتعجرف الذي أبعده عن هموم المواطنين وقلل اهتمامه بحساسياتهم وردود فعلهم.

اعتبر كلنتون أن الإنسان العادي لا يستطيع توزيع اهتمامه على أكثر من موضوع أو اثنين. هكذا، وإذا كان العمل ضرورياً على أصعدة عدة، فإن التركيز الاعلامي واجب على أقل عدد ممكن منها.

أمضى سنتين يقود حملته لاستعادة منصبه وهو يعتذر عن تعاليه السابق ويركز على موضوع الثقافة والتعليم. ووصل به الأمر أن طلب من زوجته هيلاري، الليبرالية، أن تحترم التقاليد المحلية المحافظة وتراعي حساسية الناخبين، فتتخلى عن اسمها الأصلي، رودمان، لتعتنق اسمها العائلي، كلنتون. قاده هذا النهج الجديد إلى النجاح في انتخابات الولاية، عام ١٩٨٢، التي استمر حاكماً لها حتى عام ١٩٩٢ عندما أصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية.

أمضى كلنتون هذا العقد يواجه التحديات الشخصية من دون أن يغفل، هو وغيره من القادة الديمقراطيين في الجنوب، عن التعامل مع التحدي السياسي الأعمق والأخطر الذي يشكله «التحالف اليميني الجديد» الذي يفيض عن اطار الحزب الجمهوري ليشمل ديمقراطيين كثيرين.

لم تكن الخسارة المزدوجة لأركنسو في عام ١٩٨٠ بسيطة. صحيح أن ريغان فاز فيها على كارتر بنسبة تقل عن واحد في المئة، وفرانك وايت على بيل كلنتون بنسبة تقل عن ثلاثة في المئة، إلا أن ذلك حصل في ولاية مكتسبة للديمقراطيين منذ عام ١٩٣٠ إلا في حالات قليلة. إنها ولاية أعطت السناتور الديمقراطي ديل بامبرز ٨٥ في المئة من أصواتها عام ١٩٧٤ وجددت له في العام ١٩٨٠ بـ ٥٩ في المئة وهي أقل نسبة يحصل عليها سناتور ديمقراطي في تاريخ الولاية.

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

عام ١٩٨٠ هو عام مهم جداً في اركنسو لأنه مشهد تحولها، وهي أكثر الولايات ديمقراطية، إلى الجمهوريين.

وعندما ثار كلنتون في عام ١٩٨٢ لهزيمته في عام ١٩٨٠ لم يفعل ذلك بسبب التطوير الذي أدخله على أدائه فحسب، بل لأن الأقلية السوداء منحته ٧٨ ألف صوت، أي ٩٥ في المئة من ناخبيها، احتجاجاً على فرانك وايت الذي لم يمتنع عن توظيف اثنين من العنصرين المعروفين في مكتبه. لذلك يمكن القول ان أصوات السود ساعدت في فتح ثغرة في الطوق الجمهوري الذي أطبق على الولايات الجنوبية من غير أن تنجح في تصديعه فعلياً.

يؤكد الفوز الهش لبيبل كلنتون صحة ما سوف يرد في تقرير لاحق للكونغرس الأمريكي (١٩٨٥ - ١٩٨٦) حول ازدياد صعوبة التنافس في انتخابات الولاية. ويشير التقرير المذكور إلى أن المرشح بات مضطراً إلى رفق الدعم الحزبي الذي يتلقاه بإنشاء شبكة واسعة من العلاقات الخاصة. لقد ارتفعت مصاريف الحملات وبت ضرورياً توظيف عدد متزايد من المتفرغين والمستشارين مما يحتم اللجوء إلى مؤسسات الولاية وشركاتها الكبرى طلباً للدعم المالي.

سعى كلنتون، فور إعادة انتخابه، إلى التقرب من المواطن العادي ومن المؤسسة الصناعية والمالية. وأدرك، بسرعة، صعوبة الزيادة الدورية للضرائب على الشركات الكبرى، طالما أنها تستطيع مغادرة الولاية ساعة تشاء. لذلك مارس، بعد نجاحه، الدروس التي تعلمها من نشله. تأقلم بسرعة. لم يعد ذلك الشاب البريء المنذفع الذي يناهض الحرب في فيتنام وينخرط في حملة جورج ماكغفرن الانتخابية.

أصبح رجلاً محنكاً يفضل أن يكون حاكماً متعاوناً مع القطاع الخاص على أن يكون معارضاً مبدئياً. تطورت هذه «الميزة» عند كلنتون في السنوات اللاحقة. لقد أدى تمرسه في حكم الولاية وصعوده نحو المراتب القيادية في الحزب الديمقراطي إلى بلورة شخصية تختلف عما كانت عليه في الستينات والسبعينات. تراجع كلنتون الحماسي صاحب الأهداف السامية في حين تقدم كلنتون «الدبلوماسي» الذي يجب إرضاء الجميع، ليس من باب الاخاء والتفاهم وإنما كسباً للجهات التي تملك الأصوات والمال وكل ما يؤمن للحاكم أن يستمر في منصبه وينطلق منه إلى دور وطني أشمل.

اشتهر كلنتون بأنه أحد أكثر الحكام احتراماً لمجلس الولاية التشريعي. فهو يدأب على حضور الاجتماعات ولا يكل عن معارضة الأعضاء الحزبيين والمستقلين. وعند كل اصطدام بالمعارضة يدعو قياديتها قائلاً: كيف يمكن تعديل مشروع القرار هذا بالصورة التي تجعله يحصل على تأييدكم؟ وبالفعل فإنه كان يبذل جهداً كبيراً حتى يحصل، إن لم يكن على الإجماع، فعلى تأييد أكبر عدد ممكن. لم يُعرف عنه أنه جازف بفرض أفكاره واقتراحاته كما هي، بل كان مستعداً، على الدوام، لتكييفها من أجل الحصول على الدعم الذي يحولها إلى سياسة رسمية. وعى كلنتون جيداً أن البرامج التي يريد تطبيقها، في مجال التعليم خاصة، تحتاج إلى ميزانيات إضافية، أي إلى رفع الضرائب، وهذا، بدوره، مشروط بموافقة مجلس الولاية الخاضع لضغوط الشركات. كذلك لم يذهب حتى النهاية في معظم محاولاته لرفع الضرائب إلا ما يتعلق منها بتلك المفروضة على الكازينوهات والكحول وما إليها والمعروفة بـ «ضريبة الخطيئة». كان بديهيّاً لكلنتون

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

أن الحصول على الأغلبية يكفي للفوز مرة ولكن الاستمرار والتقدم مرهونان بدعم الشركات الكبرى في الولاية.

ليس صدفة، والحال هذه، أن يكون أقرب الناس إليه، يومذاك، توم مكلاوتي رئيس شركة غاز اركنسو، وهي واحدة من أكبر ٥٠٠ شركة أمريكية، هو الرجل الذي قطف ثمرة خدماته بحصوله، في عام ١٩٩٢، على منصب مدير موظفي البيت الأبيض. وتأسيساً على النجاح في بناء هذه القاعدة الصلبة بدأ كلنتون يطور دوره في الحزب الديمقراطي. اكتسب آلاف المناصرين. اشترك في عدد كبير من اللجان والمجالس الحزبية سواء التنظيمية أو الايديولوجية. حسم أن الحزب هو الممر الاجباري لأي حاكم ولاية صغيرة يريد أن يكون رئيساً. ويمكن القول، من دون مجازفة، ان كلنتون بدأ يخطط، منذ ذلك الوقت، لاستغلال قاعدته في الولاية ودوره الحزبي، ليصل إلى قيادة الحزب، كحد أدنى، أو إلى رئاسة الدولة كحد أقصى.

### محطتا الحزب والجنوب

لم يكن بيل كلنتون يستطيع الاكتفاء بتحسين ادائه الشخصي وترتيب أحوال ولاية اركنسو. فالتغيير يجب أن يشمل الجنوب الأمريكي كله. فهذا الجنوب محسوب على الديمقراطيين ومع ذلك فإن ريغان هزم كارتر في عشر ولايات من أصل إحدى عشرة كما أن ستة حكام ديمقراطيين فقط نجحوا في مقاومة «الثورة المحافظة».

وتأكد أن الجنوب يهتز عام ١٩٨٤ مع الخسارة الكبيرة التي مني بها فيه المرشح الديمقراطي للرئاسة ولتر مونديل. ولعل البرنامج الليبرالي جداً لهذا الأخير لعب دوراً في دفع الديمقراطيين الذين اقترحوا لريغان

في عام ١٩٨٠ إلى الاقتراع له ثانية بما يوحي أنهم انحازوا، نهائياً، إلى الحزب الجمهوري .

التقطت قيادة الحزب الديمقراطي رسالة الناخبين الجنوبيين والغربيين وشرعت في دفع الحزب نحو الوسط . وبما أن عشرة حكام استعادوا ولاياتهم في عام ١٩٨٤ (عدا تينيسي التي بقيت جمهورية) فقد أصبح بالامكان تشكيل قاعدة تدعم التحول اليميني للحزب وتراهن على الانتصار الهش الذي حققه ريغان في الاباما واركنسو والميسيسيبي وشمال كارولينا وجنوب كارولينا وتنسي (٤٠ ألف صوت فقط زيادة على مونديل)، للقول ان خسارة معركة لا تعني خسارة الحرب وان استعادة التوازن لصالح الديمقراطيين ممكنة .

فشلت خطة الديمقراطيين لاستعادة الجنوب في عام ١٩٨٤ لأسباب عدة بينها صعود جيسي جاكسون وانسحاب غاري هارت .

لقد اضطر الثاني إلى الانسحاب بسبب فضيحة علاقته الغرامية بما أخاف الطبقة الوسطى البيضاء التي كانت مستعدة للاقتراع له ولبرنامج المعتدل، ودُفع بها إلى التصويت ثانية لريغان .

أما جيسي جاكسون الذي عبأ السود ودفع بأعداد كبيرة منهم إلى تسجيل أنفسهم على اللوائح الانتخابية فقد اثار ردود فعل متناقضة . تأكد، مثلاً، أن أصوات السود ليست حاسمة . ففي ولاية تكساس، خسر مونديل أمام ريغان بـ ٤٨٤١٥٢، ١ صوتاً في حين كان كارتر هزم بأقل من ذلك : ٦٢٩٥٥٨ صوتاً . وفي فلوريدا فاز ريغان على مونديل بفارق ١، ٢٨١، ٥٣٤ صوتاً في حين أنه كان فاز على كارتر بـ ٤٧٦، ٢٢٧ صوتاً . أما في اركنسو، ولاية كلنتون، فإن الفارق بين

رحلة كلتون الى البيت الأبيض

ريغان وكارتر كان ١٢٣, ٥ صوتاً لصالح الأول فأصبح، مع مونديل، ١٢٨, ١٩٨ صوتاً.

وإذا كانت أصوات السود غير حاسمة فإنها تثير، فوق ذلك، ردود فعل سلبية عند الجنوبيين البيض، حيث لا تزال العنصرية قوية، وكذلك في أوساط الطبقة الوسطى الشمالية. لقد رفض هؤلاء «سياسة الكوتا» (Affirmative Action) التي تمنح السود والأقليات حصصاً معينة في الوظائف والتعليم وغيرها، كما رفضوا البرامج الاجتماعية لمساعدة الفقراء والعاطلين عن العمل حيث نسبة السود عالية. وقد جاء مونديل ليقول للناخبين البيض المسورين نسبياً انه سيزيد الضرائب عليهم لسد النفقات المشار إليها، في حين كان ريغان يلوح للناخبين، وللجنوبيين خاصة، أنه سيستمر في سياسة «النمو» التي يتبعها من غير تكليفهم أعباء إضافية . .

حصل الديمقراطيون في انتخابات عام ١٩٨٤ على ٢٧ في المئة من الأصوات في حين كانوا حصلوا على ٣٧ في المئة في انتخابات عام ١٩٨٠. ويعني ذلك أنهم يدفعون غالباً ثمن السياسة الليبرالية التي ضربت مواقعهم الانتخابية في الجنوب والغرب وأضرت بها على الصعيد الفدرالي.

استفزت هذه التطورات عناصر في الحزب المهزوم. وقام عدد من القادة الديمقراطيين في الجنوب والغرب، مدعومين بمجموعة مصالح اقتصادية، بتأسيس جسم جديد داخل الحزب (١٩٨٥) اطلق عليه اسم «مجلس القيادة الديمقراطي» Democratic Leadership Council (DLC) هدفه ابعاد هذا الحزب، نوعاً ما، عن العاطلين عن العمل والفقراء والأقليات وحتى اتحادات العمال.

إذا كانت ليبرالية وولتر مونديل قادت إلى الهزيمة فإن «النيو-ليبراليين»، ومنهم الحاكم بيل كلنتون، والسناطور سام نان والسناطور تشارلز روبي، عقدوا العزم على تحويل «المجلس» الجديد إلى «لوبي» يضغط من داخل الحزب لقيادته نحو مواقف وسطية.

عشية انتخابات الرئاسة في عام ١٩٨٨ كان «مجلس القيادة الديمقراطي» قد بدأ يمارس نفوذاً من دون أن يكون تحول إلى جسم حقيقي وفعال يستطيع التنظيم للعب دور حاسم. كانت المعركة دائرة بين مايكل دوكاكيس وجيسي جاكسون للحصول على ترشيح الحزب الديمقراطي. القس الأسود أقوى من أي وقت مضى داخل الحزب. أما دوكاكيس، الليبرالي، فهو يتجنب السجال مع اليمين الجمهوري المحافظ ويعلن أن انتخابات عام ١٩٨٨ تدور حول «الكفاءة» وليس حول «الأيديولوجيا». انتصر دوكاكيس في المواجهة الحزبية واختار لويد بنستين ليكون نائباً له بدل جيسي جاكسون. والقصد من هذا الاختيار ضرب عصفورين بحجر واحد. لويد بنستين هو سناطور تكساس المحافظ، والإتيان به يرمي إلى الانتصار على جورج بوش في تكساس (لم يصل أي ديمقراطي غير كلنتون إلى البيت الأبيض في القرن العشرين ما لم يكن فاز في تكساس)، ومخاطبة الصوت الجنوبي الأبيض والمحافظ، وذلك فضلاً عن القطاع الخاص الذي يراقب، بإعجاب، مواقف بنستين في مجلس الشيوخ.

جمعت هذه التسوية «يمينية» الحزب الديمقراطي ووحدتهم. فهم ليسوا من القوة بحيث يفرضون على دوكاكيس أكثر من اختيار بنستين وهو اختيار يلائم استراتيجيته الخاصة. ولكن، مع ذلك، لعبت السمعة الليبرالية ضد المرشح الديمقراطي يوم الانتخابات وقادته إلى

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

خسارة فادحة، ليس أمام ريغان، بل أمام نائبه جورج بوش الرجل الذي لا لون سياسياً له ولا طعم ولا رائحة.

أحدثت الخسارة الجديدة هزة كبرى داخل الحزب الديمقراطي. فلقد تبين للقيادة أن المطلوب يتجاوز مجرد تغيير في التكتيك أو الخطة الانتخابية. لا اختيار السناتور المحافظ من تكساس يكفي، ولا اللجوء إلى المزايدة الوطنية (دوكايس على ظهر دبابة)، ولا أصوات السود. ووظيفة هذه الصدمة استعادة من أطلق عليهم لقب «ديمقراطي ريغان» وكسب المستقلين والمترددين وذلك كشرط لا بد منه لاستعادة البيت الأبيض..

و«صادف» أن قيادة الحزب مالت إلى هذا الاستنتاج في حين كانت النواة التي بناها ديمقراطي الجنوب والغرب قد نمت بحيث بات يصعب تجاهلها ويستحسن التوظيف فيها. ولعل هذه هي الفترة التي شرع فيها «مجلس القيادة الديمقراطي» (DLC) يلعب الدور المحوري في قرارات الحزب..

واكب هذه المرحلة صعود السناتور ليس أسبين، عضو «مجلس القيادة الديمقراطي»، إلى رئاسة لجنة القوات المسلحة في الكونغرس. وكانت هذه مناسبة ليظهر هذا التيار أنه يملك رأياً جديداً يقوله في السياسة العسكرية للبلاد. لقد دعم أسبين برنامج أم. أكس (MX) الصاروخي النووي والزيادة السنوية، بمقدار خمسة في المئة، في ميزانية الدفاع. وكان رأيه أن الاعتراض المنهجي للديمقراطيين على سياسة الدفاع الجمهورية غير مجد، وانهم مطالبون بتقديم برنامج دفاعي خاص يظهرون فيه حديثهم ويكفون عن التشكيك في ضرورة تدعيم

قوة الردع الأمريكية. وقد ذكر جيمس وولسي عام ١٩٨٤ (وهو، حالياً، مدير وكالة الاستخبارات المركزية) ان ستة أعضاء ديمقراطيين في الكونغرس، منهم ليس اسبين، وآل غور، سمحوا للولايات المتحدة، عن طريق قلب التوازن في الكونغرس لصالح ريغان، بتطوير الأسلحة النووية وخوض المنافسة الفعلية مع الاتحاد السوفياتي.

لم يكن بيل كلنتون، في أواسط الثمانينات، معروفاً على المستوى الوطني. لقد خطا خطوة في هذا الاتجاه عام ١٩٨٩ عندما جرى اختياره رئيساً لمجلس حكام الولايات. ثم خطا الخطوة الثانية في عامي ١٩٩٠ - ١٩٩١ عندما أصبح رئيس «مجلس القيادة الديمقراطي» ورشح نفسه للمنصب الأول في البلاد. ولمع نجمه أكثر عندما اختاره حكام الولايات الديمقراطيون كأفضل حاكم أمريكي وذلك في وقت تزايد المسؤوليات المحلية وتلعب مؤسسات الولايات دوراً أكبر في معالجة الأزمة الاقتصادية - الاجتماعية.

لا شك في أن التجربة في اركنسو صقلت شخصية كلنتون وزادته معرفة بقضايا الاقتصاد وشؤون الميزانيات ومشاكل المدن والبطالة والبنى التحتية والبيئة، اضافة إلى اهتمامه الخاص بتطوير برامج التعليم والثقافة.

ويجب التذكير هنا أن سياسة ريغان - بوش القائمة على تقليص دور الحكومة الفدرالية زادت من المسؤوليات الملقاة على الولايات ومن صلاحياتها في سن القوانين. وهكذا فإن مؤسسة مثل «مجلس حكام الولايات» اكتسبت أهمية اضافية وخبرة ثمينة ودوراً أكبر في التعاطي مع الأزمات المطروحة على صعيد وطني، مما زاد في لفت أنظار

المواطنين إلى المؤتمرات التي تعقدتها. وقد أثبت كلنتون بصفته رئيس «مجلس القيادة الديمقراطي» ورئيس «مجلس حكام الولايات» كفاءته في المؤتمر الذي عقده الحكام الديمقراطيون في كليفلاند. لقد حاول بعض هؤلاء تحويل المؤتمر إلى منبر للهجوم المباشر على الليبرالي الحزب فتدخل كلنتون، مستخدماً موقعه كرئيس، لفرض آرائه ولجم الجناح اليميني الجنوبي الذي ظهر واضحاً. وزاد على ذلك أنه أحضر مستشارين نيو-ليبراليين من خارج الاطار الضيق لقيادة المجلس وطالبهم بصياغة مواقف وتوجهات تتوافق مع تطلعاته الوسطية. والملاحظ أن هؤلاء شاركوه، لاحقاً، قيادة وتنظيم حملته الرئاسية.

شكلت هذه الاستراتيجية منعطفاً حاسماً في حملة كلنتون التي قادته إلى البيت الأبيض، لأنها وفرت له قاعدة صلبة يمكنه الاستناد إليها. لقد أحدث حاكم أركنسو ريبطاً عضوياً بين آلة الحزب المحافظة في الجنوب والغرب (من رموزها سام نان، ليس اسبين، باري ويغموور، مايكل شتاينهارت، بروس ريد، ديفيد أوسبورن، ويل مارشال، فينسنت كين)، وبين المثقفين النيو-ليبراليين القادمين من «مجموعات التفكير»، كان من الرموز روبرت رايش، مايكل ماندلبوم، ديريك شيرير، مايكل كوهين، ليستر كوهين، آلان بتريكوف، ليستر ثورو، توم ويرث. . . وأضاف كلنتون إلى هذا الربط العلاقات الخاصة التي نسجها مع جناح من المؤسسة الاقتصادية وممثليها (منهم من هو في المجموعة الأولى) وبينهم روجار التمان. . . وايرا ماغازينر وروبرت روبين. وعلى رغم ذلك لم يكشف كلنتون، وهو الداخِل في معركة كسب ترشيح الحزب الديمقراطي، الأوراق التي يملكها لأنه فضل أن يلعب دور «فلتة الشوط». ومن هذه الأوراق، إضافة إلى ما ورد آنفاً،

المجموعة التي ارتبط بها في فترة رئاسته بـ «مجلس حكام الولايات»، ومنها جيمس بلانكارد الحاكم السابق لولاية ميتشيغن، ومارك غيران المدير التنفيذي لرابطة الحكام الديمقراطيين، وريتشارد رايلي الحاكم السابق لولاية جنوب كارولينا، وروي رومر حاكم ولاية كولورادو، ووليم دينتر الحاكم السابق لميسيسيبي .

إلى ذلك استحضر كلنتون ليبراليي الحزب الذين عمل معهم في حملة جورج ماكغفرن من أمثال بريان اتدود رئيس المعهد الديمقراطي الوطني، صامويل برغر (أصبح نائب مستشار كلنتون لشؤون الأمن القومي بعد الانتخابات)، جان هولام، انتوني ليك، المدرس في جامعة ماونت هوليوك (Mount Holyoke) (المستشار الحالي لشؤون الأمن القومي)، ايلي سيغل، رئيس شركة بيتس اند بيسز (Bits and Pieces) في بوسطن والذي سبق له العمل كمدير لحملة وولتر مونديل .

## الاقتصاد

شعر كثيرون من قادة الحزب الديمقراطي بعد خسارة الانتخابات الرئاسية في عام ١٩٨٠ ثم عام ١٩٨٤ أن الفرصة لم تُغتتم لإعادة ثقة القطاع الخاص والناخبين بهم، وأن عليهم العمل متحدين وإلا واجهوا خطر الهزيمة في ولاياتهم منفردين . أدركوا أن عليهم إيجاد معادلات جديدة تعيد الثقة بقدرة الولايات المتحدة على التنافس وتأخذ في عين الاعتبار تراجع الارجحية الاقتصادية الأمريكية في العالم .

لقد سبق للمؤسسة الاقتصادية - العسكرية الأمريكية أن مالت،

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

منذ أواسط السبعينات، إلى تقليص الميزانيات الاجتماعية، ورفع الميزانية العسكرية، وذلك على أمل استعادة موقع الأرجحية الاقتصادية حيال أوروبا واليابان، والعسكرية - السياسية حيال الاتحاد السوفياتي. لقد التقط الحزب الجمهوري، في ذلك الوقت، هذه الأفكار الجديدة، ومهدت «معاهد التفكير» اليمينية لوصول رونالد ريغان إلى الرئاسة من أجل تطبيق هذا التوجه. وبالفعل ارتفعت، في عهده، ميزانية الدفاع وتقلصت الميزانيات الاجتماعية والثقافية. وشهد الاقتصاد الأمريكي نمواً مذهلاً على الورق لم يمنع متابعة الصناعة، استثماراً وانتاجاً، هبوطها قياساً بصناعات الدول المتقدمة الأخرى. كان لا بد لآثار هذه السياسة أن تظهر عاجلاً أم عاجلاً لولا أن انهيار الاتحاد السوفياتي ثم حرب الخليج خلقا حالة انتصارية تأخر معها دخول هذه النتائج في الوعي العام.

برز «مجلس القيادة الديمقراطي» رداً على هذه السياسة أولاً وعلى الفشل المتتالي للحزب في تحدي رونالد ريغان. ويتحدث راندال روثبرغ في كتابه «النيو- ليبرالين - السياسة الأمريكية الجديدة» عن صعود هذا الجيل الجديد الممثل بغاري هارت وبيبل برادلي وجيمس هارت وروبرت رايش وليستر ثورو. . . وكيف أنهم في طريقهم إلى تسلّم السلطة.

شرح هؤلاء يحذرون من الخطر الذي يتهدد مستقبل الاقتصاد الأمريكي، ويلوحون بالهيمنة الآسيوية المتمحورة حول اليابان، والأوروبية المتمحورة حول ألمانيا. وأخذوا يكتبون، بمبالغة شديدة أحياناً، عن «الخطر» الاقتصادي الذي يواجه الولايات المتحدة. وهكذا شهدنا في العام ١٩٨٨، مثلاً، أن ٧٣ في المئة من الأمريكيين

يعتبرون أن اليابان أشد خطراً على الولايات المتحدة من الاتحاد السوفياتي. أصبحت التقنية اليابانية مصدر قلق أكثر من الصواريخ السوفياتية وحل الاهتمام بفارق الأداء الاقتصادي محل الاهتمام بفارق ترسانات الأسلحة. فبين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٧ وفر اليابانيون ٣, ٢٠ في المئة من دخلهم القومي مقابل ٢, ٤ في المئة للأمريكيين. وفي عام ١٩٨٩ أصبح الناتج القومي الياباني يساوي ستين في المئة من الأمريكي، وقد استثمر اليابانيون ٢٤ في المئة منه، أي حوالي ٧٥٠ بليون دولار، في حين استثمرت الولايات المتحدة ١٠ في المئة من ناتجها أي حوالي ٥٠٠ بليون دولار. وبين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٧ ارتفع إنتاج العامل الأمريكي ٨, ٠ في المئة سنوياً مقابل ٨, ٢ لنظيره الياباني. وأصبحت طوكيو تأكل من حصة واشنطن في الأسواق بما في ذلك أسواق المواد العالية التصنيع والدقيقة التكنولوجية.

وفي حين وصلت الاستثمارات اليابانية في الخارج إلى ٦٠٠ مليار دولار عام ١٩٨٨ وصل الدين الأمريكي الخارجي إلى حوالي ألف مليار. وأصبحت على سبيل المثال، أربعة من أصل أكبر عشرة مصارف في كاليفورنيا في أيدي اليابانيين . . . .

تؤكد معطيات كثيرة على هذا «الخطر الياباني»، وهي إذ تختلف في تقدير حجمه فإنها لا تشك في أن الأمريكيين عاشوه بصفته «داهماً» و«كبيراً» خاصة بعد أن أضيف إليه التقدم الملحوظ للدول الأخرى في جنوب شرق آسيا التي أصبحت تشكل ١٥ في المئة من الانتاج العالمي ومن المتوقع أن تصل إلى ٢٥ في المئة مع بداية القرن.

في هذا الوقت المشوب بالمخاوف صدر مقال فرنسيس فوكوياما

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

الشهير «نهاية التاريخ» الذي يتحدث عن الانتصار الحاسم والنهائي للنموذج الديمقراطي الليبرالي على التحديات التي واجهته. وفي غمرة النقاش الذي اثاره المقال لوحظ أن فصلية «نيو برينسبكتيف» New Perspective الميالة إلى التفكير الليبرالي الجديد، شرعت تتحدث عن انتصار آخر حققته «الليبرالية الديمقراطية الآسيوية ذات الأصل الكونفوشي المشترك» على مثيلاتها الانغلو- ساكسونية. تضع الأولى، عكس الثانية، المجتمع قبل الفرد وتؤكد على الطاعة والنظام واحترام المنصب في عمل المؤسسات مقابل الفردية والغزوات التجارية والاستهلاك لدى الشركات الأمريكية.

لم تعد القضية «نهاية التاريخ» بل هوية «الليبرالية الاقتصادية» التي ستريح المواجهة الاقتصادية الجارية. وبهذا المعنى ليس الاسلام هو العقبة أمام نهاية التاريخ بل التنافس الناجم عن الفروقات الحضارية والاجتماعية الكبيرة بين الديمقراطيات الليبرالية نفسها. لقد شعر النيو- ليبراليون الأمريكيون أمثال ليستر ثورو وروبرت رايش بالقلق من هذه المعطيات الجديدة ومن الثقة التي يديها اليابانيون الآخذون برأي أحد فلاسفتهم المعاصرين تاكيشي أوميهارى حول البديل الغربي «التعب بالفردية والعادات الاقتصادية والاستهلاكية المنحطة»، مما يعني أن التاريخ لم ينته بل يبدأ من جديد وأن الدورة المقبلة هي دورة... آسيوية!

وقد تعزز قلق النيو- ليبراليين من أن آثار الضجة التي حصلت حول كتاب المؤرخ بول كندي «صعود وانحطاط القوى العظمى» لم تكن هدأت بعد، ومن أن هذا الأخير يدعو الولايات المتحدة «إلى أن توازن بين الوسائل والأهداف» وأن «تسترد سمعتها عبر مباشرة اصلاح

مدنها وثقافتها وبنائها التحتية وتلبية حاجاتها الاجتماعية وعدم تشجيع المواطنين على البحث عن تقدير الذات فوق أرض المعركة».

تحول قلق الليبراليين، الذين واكبوا التوسع الاقتصادي في الخمسينات والستينات، إلى محاولة لصياغة تفكير جديد. بدأ التركيز، مثلاً، على اعطاء الأولوية للاستثمار بدل إعادة التوزيع. وتحرك قادة ديمقراطيون مثل تيم ويرث عضو الكونغرس عن ولاية كولورادو، وريتشارد غيهارت، زعيم الأكثرية الحالية في الكونغرس (من ولاية ميسوري). قدم هؤلاء تقريراً إلى الحزب بعنوان: (Rebuilding the Road to Economic Opportunity) «إعادة بناء الطريق للفرص الاقتصادية» يؤكد على ضرورة الابتعاد عن سياسة إعادة التوزيع والتركيز على اقتصاد النمو. رفضت قيادة الحزب القديمة هذا التقرير وساندها في ذلك صحف ليبرالية مثل «واشنطن بوست» وجرى اتهامه بأنه يتجاهل أهم مبادئ الحزب الديمقراطية حول دور الدولة في تقديم المساعدات الصحية والتعليمية وتدخلها في مجالات التقاعد وعون الفقراء وتأمين العمل.

لم تحل هذه الاعتراضات دون أن تعتمد غالبية الحزب هذا البرنامج على أمل إعادة كسب الطبقة الوسطى والديمقراطيين الذين انحازوا إلى ريغان. غير أن هذا البرنامج بقي، في انتخابات عام ١٩٨٤، من دون قائد يرفع رايته.

فغاري هارت، كما ذكرنا، لم يستطع ذلك بسبب خروجه من السباق الرئاسي بعد الفضيحة التي كسرت حملته، مما ترك وولتر مونديل المدعوم من القيادة التقليدية، والبعيد، نوعاً ما، عن الأفكار

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

الجديدة الآخذة في البزوغ، وحده. وتكرر الأمر في عام ١٩٨٨ إذ لم يلتقط المرشح غيبهارت تراجع نزعة الحماية، وضاع آل غور، الصغير السن، بين المرشحين الآخرين، فلم يبق الا دوكاكيس. والنتيجة معروفة في الحاليتين.

وهكذا أخفقت محاولات الذين حاولوا، أما الذين لم يحاولوا بعد، أمثال بيل برادلي وتيموثي ويرث، فاعتقدوا أن لا مجال في عام ١٩٩٢ لمواجهة جورج بوش المكمل بغار الانتصارين في الحرب الباردة وحرب الخليج.

لم يلحظ كثيرون أن النواة الحزبية التي تأسست في منتصف الثمانينات، «مجلس القيادة الديمقراطي»، كانت أصبحت في عام ١٩٩١ أحد أهم محركات الحزب، وكانت نجحت، إلى حد ما، في قيادته نحو الوسط بعيداً عن الأقليات والسود واتحادات العمال. وكان هذا المجلس قد أسس معهداً في واشنطن يديره ويل مارشال ليقدم على توفير تغطية نظرية للتحويل في اتجاه الوسط. ويمكن القول ان التقرير الذي وضعه هذا المعهد بعنوان Mandate for Change («وكالة من أجل التغيير») يعتبر مسودة البرنامج الانتخابي الذي طوره بيل كلنتون في حملته، سواء في طرح قضايا الوضع الداخلي أو رصد التحديات التي تواجه الولايات المتحدة في الخارج.

يدعم هذا التيار سياسة «النمو» لا «العدالة». أي أنه يطالب بتدخل الدولة لرفع انتاجية الصناعة، وإعطاء ذلك الأولوية على تأمين العدالة للعمال وذوي الدخل المحدود. ويمثل هذا التوجه تغييراً في فلسفة الحزب الديمقراطي يهدف إلى إعادة كسب الطبقة الوسطى التي

ترفض دفع المزيد من الضرائب من أجل مساعدة المحتاجين . وإذا كان المرشح بول تسونغاس قد طالب بخفض الضرائب على الشركات تشجيعاً للنمو الاقتصادي ، فإن برنامج بيل كلنتون المستوحى من التقرير المشار إليه ذهب أبعد من ذلك . لقد دعا ، أيضاً ، إلى رفع المستوى الثقافي والتقني للطبقة العاملة الأمريكية انطلاقاً من نظرية روبرت رايش القائلة ان الصناعات ورؤوس الأموال متحركة ومتنقلة في حين أن الطبقة العاملة المهياة للانتاج ثابتة . ولم يتردد كلنتون ، في سبيل طمأنة الطبقة الوسطى ، من أن يخطب في ديترويت مطالباً الفقراء والعاطلين عن العمل بتحمل مسؤولية مستقبلهم وعدم الاتكال على الدولة في كل شيء . وأكد كلنتون أن على المساعدات الاجتماعية أن تكون مؤقتة وليس طريقة حياة .

تصعب المقارنة بين «الثورة المحافظة» التي حملت رونالد ريغان إلى السلطة في عام ١٩٨٠ وبين «الانقلاب النيو- ليبرالي» الذي شهدته الحزب الديمقراطي في الثمانينات وعبر عنه كلنتون في بداية التسعينات ، لا بل يمكن القول ان آثار «الثورة المحافظة» بادية على أطروحات «الانقلاب النيو- ليبرالي» . مع ذلك يجب التأكيد ، مرة أخرى ، على أن كلنتون «لم يكن صاعقة في سماء صافية» . لقد مهد له كتاب كثيرون وكتب كثيرة .

لقد تحول كتاب ليستر ثورو «لعبة المجموع صفر» (Zero Sum Game) إلى توراة التفكير الجديد ، ووضع السناتور المرشح بول تسونغاس كتابه «الطريق من هنا» (The Road from Here) منتقداً فيه الديمقراطيين الذين «استمتعوا طويلاً بتوزيع البيضات الذهبية . . .

رحلة كلتون الى البيت الأبيض

وقد آن الأوان لهم ليقلقوا على صحة الإوزة»، وطوّرت الدكاترة روبرت رايش وروجر فوغان وديفيد بيرش التقرير المقدم إلى الكونغرس تحت عنوان «النمو والعدالة» مركزين على الشق الأول فقط. وحصل ذلك كله في سياق السجال مع ادارتي ريغان وبوش والأزمة الاقتصادية المتفاقمة بسبب سياسة رفع القيود عن الأسعار واعفاء الشركات الكبرى من الضرائب وتخفيض ميزانيات التعليم الخ . . . .

لقد بلور النيو- ليبراليون اقتراحات ترفض ترك الشركات تحل مشاكلها وحدها، وتطور انتاجها مستفيدة من الاعفاءات الضريبية، معتبرين أن ذلك غير مفيد على المستوى الوطني العام، وأن ما يجري توفيره من ضرائب يتحول إلى ربح ولا يعاد استثماره.

اكتشف النيو- ليبراليون، مثلاً، أن الواردات الأمريكية من المنتجات الصناعية ترتفع بنسبة أعلى من ارتفاع الصادرات، وأن ارتفاع الاستيراد في بعض القطاعات، مثل السيارات، يحصل بسرعة مذهلة. وقد فسروا ذلك بأنه يدل، أولاً، على زيادة تدويل الاقتصاد الأمريكي، وثانياً، على تراجع القدرة التنافسية حيال اليابان وأوروبا. واستنتجوا أن الحل هو «الاستثمار في شعبنا» وفي «بُنانا التحتية»، وأن الطبقة العاملة المدربة والمتطورة أفضل استثمار وطني. استنتجوا، كذلك، أن التدويل المتزايد للاقتصاد يُدخل تنوعاً كبيراً على امكانية طلب نوع معين من البضائع وأن الفائز هو من يحسن التوظيف في «العرض»، أي في زيادة الانتاج وتحسينه. ويقول بيل برادلي، أحد رموز النيو- ليبراليين، أن «الحل للأزمة الاقتصادية والعجز التجاري يكمن في زيادة الانتاج، وعلى الآخرين في الدول الصناعية العناية

بالدول النامية». ومن المنطقي أن يصاحب هذا النوع اعلان النية في الضغط على الدول المنافسة لفتح أسواقها في وجه البضائع الأمريكية وغيرها من بضائع العالمين الثاني والثالث.

### منحة رودس

يجب التوقف سريعاً، لدى استعراض المحطات السياسية والحلقات الفكرية التي واكبت بيل كلنتون في رحلته إلى البيت الأبيض، عند أكثرها غرابة: «رابطة خريجي رودس». انها الرابطة المسماة على اسم المنحة المعطاة للطلاب الأمريكيين من أجل الدراسة في بريطانيا. وصاحب المنحة الأصلي هو سيسيل رودس الذي حقق أرباحاً من تجارة الماس بعد دعم الولايات المتحدة حرب البوير الانكليزية في افريقيا رداً على دعم بريطانيا سيطرة الولايات المتحدة على كوبا والفلبين سنة ١٨٩٩. والملاحظ أن قسماً كبيراً من مساعدي كلنتون في حملته الانتخابية سبق له الدراسة في جامعة اكسفورد البريطانية عن طريق «منحة رودس». من هؤلاء، مثلاً، روبرت رايش وداريل غليس (المستشار الثقافي) ودوغلاس ايكلي الذي قاد الحملة في نيوجرسي، وستروب تالبوت (الصحافي والمستشار في السياسة الخارجية)، وريشارد ستيرن (المستشار القانوني) وايرا ماغازينر. لقد تخرج هؤلاء جميعاً عام ١٩٦٨ ولكن هناك كثيرين غيرهم ممن تخرجوا في سنة أخرى من أمثال جيمس وولسي (مدير وكالة الاستخبارات) ومايكل مندلبوم (مستشار سياسي) ومايكل كنزلي (صحافي في «واشنطن بوست» و«نيو ريبليلك») وولتر اساكسون. حتى جورج ستيفانو بولوس الناطق الرسمي المتخرج بمساعدة منحة رودس عام ١٩٨٤ في عداد هؤلاء.

## الانتخابات

مع نهاية عام ١٩٩١ كان بيل كلنتون قد حصل على تأييد ليبرالي ماكغفرن ومحافظي «مجلس القيادة الديمقراطي» ونيو- ليبراليين الشمال ورجال أعمال الغرب و«رابطة الحكام الديمقراطيين» واتحادات العمال والنساء ومنظمات السود، بما في ذلك ائتلاف «قوس قزح» بقيادة جيسي جاكسون، وأهم شركات المحاماة، أو «لوبيات» القطاع الخاص، و«رابطة رودس»، واتحاد المعلمين، وجزء كبير من أعضاء الكونغرس ومجلس الشيوخ، وأهم ايدولوجيي الحرب الباردة والمحافظين الجدد والجالية اليهودية ومؤيدي اسرائيل.

وعلى خلاف منافسيه في الحزب الديمقراطي، بول تسونغاس وبوب كيري وجيري براون، بدأ كلنتون حملته لكسب تأييد حزبه بقدر كبير من التنظيم والتحضير والدعم المؤسسي الحزبي والخاص. وكان يعي جيداً أن علاقاته السابقة ستساعده كثيراً في كسب ترشيح الحزب. ومن هذا المنطلق لم يكن كلنتون في خانة جون كندي أو جيمي كارتر وهما آخر رئيسين ديمقراطيين ربحا الانتخابات. لقد أقدم كل من هذين على مجازفة شخصية كبيرة لكسب الحزب إلى صفه، أما كلنتون فلم يبذل الجهد والميزانيات في الحملة التمهيدية بل أبقى عليها لمواجهة جورج بوش. لقد سبق لكارتر أن استدان مليوني دولار من مصرفين في اتلانتا لقيادة حملته الانتخابية بقوة في جميع الولايات، محاولاً اقناع حزبه بأنه يستطيع منافسة جيرالد فورد. ومن جهته ركز كندي في بداية حملته على ولايات حساسة للبرهنة على جدية مشروعه وعلى أنه مرشح التغيير لا يمثل المصالح الضيقة. فقام، مثلاً، بحملة قوية في ولاية

فرجينيا حيث تصل نسبة البروتستانت إلى ٩٤ في المئة، واستطاع، وهو الكاثوليكي، أن ينتزعها من هيوبرت هامفري مبرهنأ أنه محبوب على نطاق واسع. كذلك نقل التحدي بنجاح الى ولاية ويسكانسن جارة ولاية هامفري، مينيسوتا.

ويقدر ما هو معروف عن ادارة الحملة يمكن القول ان كلتون ادرك طبيعة اللعبة الانتخابية وموقعه على الخارطة الحزبية. وهكذا فإن تركيزه على ولايات الينوي (٢٢ صوتاً) وميتشيغن (١٨ صوتاً) وأوهايو (٢١ صوتاً) وويسكانسن (١١ صوتاً) وكاليفورنيا (٥٤ صوتاً)، سواء في المعركة التمهيدية أم عند التنافس مع بوش، يدل على وجود خطة منظمة وشعارات واضحة للوصول إلى البيت الأبيض.

ومن الضروري، في هذا المجال، التأكيد المكرر على أهمية خبرة كلتون في المجالين الحزبي والانتخابي، ومعرفته الدقيقة بالأولويات المطروحة للبحث والتغيير على المستويات الاقتصادية العامة، والصناعية منها تحديداً، وأوضاع المدن. والواضح من ذلك كله أنه استوعب دروس الحملات السابقة وبشكل خاص، انتخابات عام ١٩٨٨. ففي هذه الانتخابات انتصر بوش في كثير من الولايات بفارق ثلاثة في المئة أو أقل، وكان لا بد لكلنتون أن يستعيدها. ومن هذه الولايات الصناعية ميتشيغن ونيوجرسي وأوهايو وكونيكتيكات الينوي. وكاليفورنيا التي تضررت اقتصادياً في السنوات الأربع التي سبقت. وهذه هي الولايات التي شهدت، في الفترة نفسها، تطور الطبقة الوسطى البيضاء في اتجاه يميني، ثم انها الولايات التي تتركز فيها الطبقة العاملة الصناعية المأزومة.

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

خاطبت برامج كلنتون الاقتصادية المركزة على الاستثمار في الصناعة والقطاع الخاص ناخب المناطق الغربية، وكان الكلام السلبي ضد واشنطن، موجهاً، بصورة خاصة، إلى هذا الناخب المستاء من بيروقراطية العاصمة. وإذا كانت الولايات الجنوبية المحافظة ضرورية لكسب ترشيح الحزب الديمقراطي فإن الولايات الغربية المتوسطة والغربية هي التي ترجح الكفة على الجمهوريين. وقد اضطر جورج بوش، بعد أن اختار كلنتون آل غور نائباً له، إلى التركيز على الجنوب مهماً ولايات الغرب الأوسط والغرب التي تتفوق بفارق هائل في الأصوات.

كان كلنتون واعياً أن استحضار النيو- ليبراليين من الشمال والغرب لبلورة البرنامج الاقتصادي الجديد، فضلاً عن اعتماده في الحملة على برنامج ليبرالي اجتماعياً، سيؤدي إلى احتمال خسارة بعض الأصوات الجنوبية على رغم أنه ينتمي، مع نائبه، إلى هذه الولايات. لكنه اعتبر أن كاليفورنيا وحدها جائزة تساوي غالبية هذه الولايات. وقد نجح، بالفعل، في كسب تأييد كاليفورنيا وميتشيغن ونيوجرسي على حساب تكساس الجنوبية التي تلعب، كما ذكرنا، دوراً حاسماً في إيصال أي مرشح ديمقراطي إلى البيت الأبيض.

كانت الاحصاءات الأولى تشير إلى أن كلنتون يسبق بوش في ولايات البحيرات الكبرى، ويسكانسن واوهايو وميتشيغن بنسبة ٦ إلى ١٠ نقاط وفي الينوي بـ ١٩ نقطة. وحاول بوش وقف الزحف الديمقراطي هناك ولو على حساب خسارته لكاليفورنيا. شرع يظهر فيها كثيراً غير أن ذلك أحدث ردة فعل سلبية. وبدوره، ركز كلنتون عليها مستخدماً مجموعة من الخبراء الشباب الذين خدموا في الصف

الثاني أثناء حملتي غاري هارت ومايكل دوكاكيس وكانت مهمتهم استقطاب أصوات الطبقة العاملة البيضاء. وبما أن هذه الولايات كانت تشكك ببوش، من غير أن تثق بكلنتون، فإن هذا الأخير «حاصرهما» بالدعايات التلفزيونية الناقلة لأفكار الليبراليين الجدد المؤيدة للاستثمار في القطاعات التي تهتم المنطقة. قامت حملة كلنتون على التركيز على ولايات وإهمال أخرى كانت ثانوية أو ميؤوساً منها مثل يوتا ونبراسكا وأيوا.

سبق لحملة ولتر موندل في عام ١٩٨٤، أن أكدت على حقوق النساء والسود، وحملة مايكل دوكاكيس، في عام ١٩٨٨، التأكيد على السود والأقليات. أما حملة كلنتون في عام ١٩٩٢ فركزت على الاستثمار في الاقتصاد وعلى الطبقة الوسطى البيضاء وضرورة تخفيض ضرائبها. وكانت هذه الشريحة تستمع جيداً إلى كلنتون يقول لها «إذا رفض اليابانيون أن يلعبوا لعبة التنافس الاقتصادي حسب قوانيننا فإننا سنلعبها حسب قوانينهم»، أو «علينا أن نطبق النظام الصحي الذي تطبقه دول شمال أوروبا»، أو «ان انتاجية العامل الأمريكي أكبر من انتاجية العامل الألماني إلا أن توفير هذا الأخير للطاقة يجعله، في النهاية، أكثر انتاجية من الأمريكي». تدل هذه المقارنات والشعارات على أن كلنتون أحسن مخاطبة شعور القلق الذي تشعر به غالبية الشعب، ولربما وجد هذا كله تنويجه في شعار «الاقتصاد يا غبي».

فبرنامج كلنتون المعتدل اقتصادياً والليبرالي اجتماعياً مثالي لولايات مثل كاليفورنيا ونيويورك، وهو الأفضل للولايات الصناعية الشمالية. وتدل استفتاءات الرأي العام أن غالبية المقترعين تميل إلى هذه الليبرالية

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

الاجتماعية على حساب المحافظة، وذلك على رغم ازدياد نفوذ هذه الأخيرة في الثمانينات. ولا شك في أن جورج بوش دفع ثمناً مرتفعاً بدل المنافسة التي واجهه بها المرشح اليميني المتطرف باتريك بوكانان، كما دفع لاحقاً مقابل انسحاب هذا الأخير إثر خطابه الشهير في مؤتمر الحزب الجمهوري.

تبدو وسطية كلنتون تقنية أكثر منها سياسية، وتكتيكية أكثر منها ايدولوجية. انه هكذا لأن هذا هو سر النجاح في هذه المرحلة. إنه وسطي لأن أمريكا وسطية ولأن الجمهور الغالب من الناخبين بات، تحت ضغط الريغانية، وسطياً. تريد الطبقة الوسطى أن تكون قيادية من دون أن تحسر أمريكيتها، ودولية من دون أن تحسر علمها ووطنيتها، وتؤيد حقوق الإنسان إنما ليس على حساب المصالح، وتفضل التجارة الحرة شرط ألا تكون على حساب العامل الأمريكي، وتميل إلى العائلة والمبادئ الإنسانية العامة إنما من دون التخلي عن الحريات الشخصية والاختيارات الفردية.

لهذه الأسباب كلها كانت نيويورك المدينة المثالية لاستضافة مؤتمر الحزب الديمقراطي، على رغم أن تهميش السود كان قد حصل. وفي هذا المؤتمر قدم الحزب الصورة الجديدة التي يريد تقديمها عن نفسه، معلناً انحيازه نحو الوسط واضعاً قاعدته السابقة، من السود إلى اتحادات عمال، أمام الاضطراب إلى تفضيل كلنتون على بوش، مع احتمال انحياز قسم ضئيل منهم إلى روس بيرو. وقد جرى التخفيف من «رصانة» البرنامج بقدر من التركيز على أوضاع الشباب. فلقد كان سبق للتلفزيون أن نقل صورة كلنتون الشاب (٤٦ عاماً) يعزف على الساكسوفون ويتحدث عن تفهمه لقضايا المخدرات (أخوه كان مدمناً)

وعن اهتمامه بقضايا التعليم وتعليم أبناء الأسر الفقيرة بشكل خاص . ولا شك أن هذا التركيز أعطى ثماره، فبعد أن كان بوش حصل على أصوات ٥٢ في المئة ممن هم بين ١٨ و ٢٩ عاماً في عام ١٩٨٨ ، إذا به يتحول الى عجوز لا يحصل إلا على نسبة ٣٣ في المئة من هذه الأصوات، في حين يحصل كلتون على ٤٤ في المئة ويختار الباقون روس بيرو الذي بدا، في خلال الحملة، وكأنه المجدد الفعلي الوحيد .

### دور المال: الاستثمار في الانتخابات

الحملة الانتخابية مكلفة جداً في الولايات المتحدة. ويحتاج المرشح الديمقراطي إلى ميزانية ضخمة ليخوض معركته في الولايات التسع والعشرين قبل مؤتمر الحزب. لكن بعد أن يفوز أي مرشح داخل حزبه تسهل عملية جمع الأموال من أقطاب المؤسسة الاقتصادية. والمشكلة الفعلية هي في الفترة الأولى حيث يفترض بالمرشح اقناع المتبرعين أن أموالهم لن تذهب هباء وأن لبرنامجهم حظاً معقولاً في النجاح.

في الحملة الأخيرة حصل بول تسونغاس على دعم وافٍ من المؤسسة الاقتصادية لأنه دافع عن برنامج اقتصادي شبه ريغاني. ولكن هنا أيضاً ظهرت فائدة العلاقات التي نسجها كلتون منذ مطالع الثمانينات، وهي علاقات جعلت منه المرشح الأقوى ولو أنه لم يكن الأكثر تمثيلاً للمصالح المباشرة للمؤسسة الاقتصادية كما كان تسونغاس. ومن علامات ما تقدم أن روبرت الثمان استطاع أن يجمع ٧٠٠ ألف دولار لصالح كلتون في حفلة عشاء واحدة. وإذا أخذنا في الاعتبار أن الحد الأقصى للتبرع الفردي هو ألف دولار أدركنا حجم

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

الشبكة الواسعة من العلاقات مع رجال الأعمال التي كان كلنتون نجح في انشائها.

يلعب المال والاعلام في الولايات المتحدة قسماً من الدور الذي يلعبه العمل الحزبي المنظم في البلدان الأوروبية. ويمكن لنفقات الحملة الانتخابية أن تتعدى المليار دولار كما حصل عام ١٩٨٠. تكفي أمثلة قليلة لتقدير أهمية المال في ادارة الحملة الانتخابية. ففي عام ١٩٧٢، مثلاً، خسر جورج دالاس ولاية كاليفورنيا المهمة أمام منافسه من الحزب الديمقراطي نفسه جورج ماكغفرن لأنه لم يؤمن الدعم اللازم. وفي الحملة إياها التي شارك فيها كل من بيل وهيلاري كلنتون إلى جانب ماكغفرن ضد الجمهوري ريتشارد نيكسون، نجد أن ماكغفرن أنفق ٣٠ مليون دولار وخسر، بينما أنفق نيكسون ٦١,٤ مليون دولار وربح. تبين، لاحقاً، مع فضيحة ووترغيت أن القائمين بحملة نيكسون استخدموا أساليب غير شرعية لجمع التبرعات، منها التهديد المبطن للشركات. أكثر من ذلك، تبرع ثلاثة أشخاص من شركات كبرى بمبلغ ٤ ملايين دولار. بعد ذلك أنفق جيرالد فورد ٢١,١ مليون دولار في الحملة ضد كارتر مقابل ٢١,٨ لهذا الأخير الذي عاد فأنفق ٢٩,٤ مليون دولار.

لقد تغيرت في السبعينات، وبصورة جذرية، القوانين الناظمة لجمع التبرعات، وذلك في اتجاه التقليل من دور رؤوس الأموال الكبيرة في الحملات الانتخابية. ففي عام ١٩٧١، وبعد حملات روكفلر وغيره حيث المرشح يتحمل النفقات الباهظة وحده، وضع حد لما يستطيع أن يصرفه المرشح. ولكن محكمة العدل العليا أقدمت في عام ١٩٧٦ على الغاء هذا واعتبرت أن المرشح يستطيع أن يصرف من غير حدود على

حملته طالما أنه لا يتلقى، في المقابل، أموالاً من الحكومة (وهكذا كان في وسع روس بيرو أن ينفق ما شاء من أمواله في حملة عام ١٩٩٢). وتدخل الكونغرس بعد فضيحة ووترغيت في عام ١٩٧٤ ليسنّ قوانين جديدة ومهمة على صعيد «دمقرطة» العملية. فقد وضع سقفاً لكل تبرع هو ألف دولار وحرّم الشركات الخاصة من أن تبرع من ميزانياتها. وحصلت، في السنوات الأخيرة، ملاحقات لبعض الشركات التي حاولت الالتفاف على القوانين الجديدة من خلال زيادة معاشات موظفيها مقابل تبرعهم لهذا المرشح أو ذاك. هكذا قطعت «المؤسسة» الطريق على حفنة من الشركات كان في إمكانها تبني مرشح معين والانفاق عليه إذ بات المطلوب الحصول على تأييد واسع من أجل جمع التبرعات اللازمة.

إن ثمة أساليب ما زال المرشح، بواسطتها، يستطيع الحصول على دعم شركة ما: المساعدة في الدعاية، وضع وسائل الانتقال في تصرفه، تغيير عدد من الموظفين للانخراط في حملته. كما يمكن لمرشح ما أن يفعل ما فعله كارتر عام ١٩٧٦ ويستدين مباشرة من المصارف.

أدرك كلنتون منذ تجربته مع ماكغفرن المهزوم أمام نيكسون أهمية المال. وهكذا استنفر علاقاته السابقة التي ترجمت إلى اقدام مئات المحترفين، بل آلافهم، من المحامين والمستشارين على العمل معه في حين أنهم يقبضون رواتبهم من شركاتهم.

أنفق كلنتون القسم الأكبر من ميزانيته على الدعاية، التلفزيونية خاصة. وكان استفاد من حملة ماكغفرن أن الرسائل المباشرة مفيدة جداً خاصة إذا أرفقت بدعايات تلفزيونية. استقطب كلنتون أهم

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

خبراء الحزب الديمقراطي في مجال جمع التبرعات وادارة الحملة الانتخابية. واستطاع أن يوظف لصالحه عدداً أكبر بكثير من أولئك الذين اشتغلوا مع دوكاكيس. إلى ذلك لوحظ وجود عدد كبير من أبرع المحامين وممثلي المصالح الاقتصادية في إطار هذه الحملة. وليس صدفه أن المرشح الجديد من الولاية الجنوبية الصغيرة، أركنسو، جمع تبرعات لا تقل عن تلك التي جمعها الرئيس جورج بوش.

### القطاع الخاص والاستثمار في . . . كلنتون

من الطبيعي أن يكون للشركات الكبرى و«اللوبيات الاقتصادية» تأثير على برامج المرشحين الانتخابية ومصاريفهم الضرورية. ويتأكد ذلك من ادراك أن أكبر ٥٠٠ شركة أمريكية تسيطر على ثلثي مصادر «البزنس» (المال والأعمال) وتوظف ثلثي العمال الصناعيين، مساهمةً في ٦٠ في المئة من المبيعات ومحقةً ٧٠ في المئة من الأرباح.

إن قرار شركة من هذه الشركات اغلاق مصانعها في ولاية يعني مباشرة ارتفاع البطالة وانخفاض الضرائب والميزانية والعجز عن الوفاء بالالتزامات. ومما يدل على مدى نفوذ هذه الشركات انه في السنوات ما بين عام ١٩٨٩ و ١٩٩٢، كانت «حصّة» أربع منها تساوي «حصّة» مجموع ما صرف من عمال صناعيين في الولايات المتحدة.

من الطبيعي، والحال هذه، أن تؤثر هذه المصالح على العملية السياسية وأن تحصل هذه المصالح على وزن في هذا المجال يوازي وزنها الاقتصادي. غير أن هذه الشركات ليست موحدة المصالح تماماً. فهي ربما التقت ضد تدخل الدولة في تحديد الأجور أو زيادة الضرائب

ولكنها تختلف حول التجارة والأولويات الصناعية أو التكنولوجية أو الخدمائية. فمنها ما هو مرتبط بشركات يابانية أو بالتسويق في السوق اليابانية أو الأوروبية، أو ما هو معني بتشجيع الصناعات المحلية وزيادة الحماية والجمارك وضبط الاستيراد (شركات السيارات)، وهذه تملك وجهة نظر خاصة بها. وتساند اتحادات العمال، القوية في الولايات المتحدة، التيار الأخير وذلك في معرض دفاعها عن حقوق العمال الأمريكيين في وجه المتوجحات الأجنبية المصنعة حيث الأيدي العاملة رخيصة، كما المكسيك، أو متقدمة، كما اليابان.

وتملك كل مجموعة من هذه المشار إليها مفكرين ومنظرين ومستشارين يحاولون التأثير على المرشح الرئاسي، أو على أي عضو في الكونغرس. ويضطر أي مرشح في خلال حملته إلى التوفيق بين هذه المصالح ومحاولة إرضائها جميعاً أو تفضيل قطاعٍ على آخر.

وقد نجح كلنتون في صياغة برنامج توفيقى. لقد أعلن في خلال حملته أنه سيوظف حوالي عشرين مليار دولار سنوياً، على أربع سنوات، من أجل تحريك عجلة الاقتصاد وتوفير فرص عمل لقسمٍ من العاطلين البالغ عددهم تسعة ملايين انسان. إلى ذلك وعد بدعم الشركات إذا ما استثمرت في تجديد نفسها وتخفيض الضرائب عن القسم المعاد استثماره من الأرباح. وأشار برنامج كلنتون، كذلك، إلى ضرورة التدخل الرسمي للتوفيق في البنية التحتية والتدريب المهني.

يتجاوب هذا البرنامج مع مطالب الشركات الصناعية واتحادات العمال ويستقطب المؤسسات الراغبة في رفع الضرائب على البضائع الأجنبية أو الحصول على دعم يمكنها من المنافسة. من هذه الشركات.

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

مثلاً، شركات السيارات والالكترونيات. وبما أن كلنتون طالب برفع الحواجز أمام الصادرات الأمريكية أو تخفيفها، فإنه خاطب دعاة التجارة الحرة التي تحظى بدعم شركات الكيماويات، أو الالكترونيات المتقدمة («ابل»)، أو شركات الخدمات المالية («امريكان اكسبرس») والشركات التي تمثل أو تشارك شركات يابانية أو أوروبية في الولايات المتحدة.

تؤيد الطبقة الوسطى الجزء الأول من برنامج كلنتون الاقتصادي خاصة بعد التزامه التراجع عن سلوك الديمقراطيين السابق بصرف الميزانيات على البطالة ومساعدة الفقراء.

الفكرة المركزية لدى كلنتون تقول ان الشعب هو مصدر الثروة الأساسي وان التوظيف فيه يضع أمريكا في القرن الواحد والعشرين ويستعيد قدرتها التنافسية. انها الفكرة التي طورها روبرت رايش وايرا ماغازينر والتي تركز على ضرورة اعطاء الأولوية لقوة العمل الأكثر تثقيفاً والأفضل تدريباً والمرتبطة، في ما بينها، بشبكة راقية من المواصلات والاتصالات. ولعل هذه الطموحات هي التي جعلت مستشارين آخرين يرون في مبلغ العشرين مليار دولار مبلغاً عاجزاً عن تلبية هذه المهمة.

لم يأت مستشارو كلنتون الاقتصاديون من الجامعات والمعاهد فحسب، بل أيضاً من صلب المؤسسة الاقتصادية والقطاع الخاص. وقد ساعد هؤلاء في صياغة الشق الأول من البرنامج ويريدون المشاركة في تنفيذ الشق الثاني القائم على دعم القطاع الخاص والتجارة الحرة. وحدث، أحياناً، أن مارس هؤلاء تأثيراً في الحملة يفوق تأثير الأوائل

ويحول أطروحاتهم إلى شعارات انتخابية هدفها استقطاب الناخبين، لا التحول إلى خطط فعلية، تزيح العوائق الضريبية وتسد العجز في الميزانية وتبرر التدخل الحكومي الكبير في الاقتصاد.

لم يتردد القطاع الخاص في دعم كلنتون وتحويله إلى بديل جدي أمام جورج بوش المتحول إلى كبش فداء غير مهتم بالاقتصاد. انها محاولة لتحميل الرئيس السابق الخسائر التي أصابت الاقتصاد الأمريكي في الثمانينات.

ولعل الاشارة السريعة إلى دور شركات الحمامة الكبرى، ممثلة الاحتكارات واللوبيات القوية، في حملة كلنتون ما يؤكد على ما ورد آنفاً.

وإلى جانب مكاتب الحمامة كانت شركات الاستثمار حاضرة في الحملة ومستعدة لإرسال المتطوعين المدفوعين الأجر. أحد أبرز هؤلاء هو روبرت رويين، مدير شركة غولدمان ساكس الذي أصبح، بعد الانتخابات، رئيساً لـ «مجلس الأمن الاقتصادي» الذي أسسه كلنتون تدليلاً على رغبته في إعطاء الأولوية للاقتصاد.

من ناحية أخرى فإن روجر التمان (الذي أصبح النائب الأول لوزير المالية) كان سبق له العمل في مجال الاستثمارات المصرفية وهو أحد المساهمين في شركة بلاك ستون التي يُعدّ ديفيد ستوكمان أحد كبار موظفيها. وستوكمان هذا هو رئيس لجنة الميزانية في بداية عهد ريغان. والمسؤول عن سياسة تحرير الأسعار والسياسات الاقتصادية التي أدت إلى أرباح كبيرة لشركة بلاك ستون المستفيدة، حتى اليوم، من فضيحة افلاسات مؤسسات التوفير والقروض.

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

صحيح أن هاملتون جوردان، أحد أبرز مستشاري كلنتون، سبق له العمل كسائق باص براتب متدن (٤, ٢ دولار في الساعة) إلا أنه حالياً عضو في مجلس ادارة «أمريكان اكسبرس»، وكذلك في «جنرال الكتريك». كذلك أدار ايرا ماغازينر، وهو صديق كلنتون منذ أيام اكسفورد، الشركة الاستشارية أس. جاي. أس. (SJS) ويعمل لحساب «جنرال الكتريك». وبهذا المعنى فإنه ليس من باب الصدفة أن يؤيد برامج تحويل الصناعات العسكرية صناعات مدنية أو أن يتخذ موقفاً متصلباً في التعامل التجاري مع أوروبا واليابان. وفي مواجهة ماغازينر تقف بولا ستيرن رئيسة إحدى شركات الاستشارة المهمة في واشنطن، ومن زبائنها شركات يابانية إلكترونية وأخرى أمريكية ترفض زيادة الضرائب على الفولاذ. لذلك فإن النصائح التي قدمتها ستيرن إلى حملة كلنتون الانتخابية تؤكد كلها على التجارة الحرة وفتح الأسواق. ويؤيدها في ذلك صموئيل بيرغر الشريك في مكتب المحاماة هوغان وهارتسون في واشنطن، وهو يمثل تويوتا اليابانية - الأمريكية وشركات أخرى ترفض زيادة الضرائب على الاستيراد.

ان عودة سريعة الى الورا، الى أيام «مجلس القيادة الديمقراطي» تظهر لنا أن المصالح الاقتصادية المهمة ساعدت في انشائه وأثرت في توجهاته. فبالإضافة إلى البيروقراطيين والأكاديميين ضمت صفوف المجلس مايكل شتاينهارت الذي تقول عنه «واشنطن بوست» انه حقق ربحاً يوازي ٥٢ مليون دولار في عام ١٩٩٢. وكان معه، أيضاً، ليندا بيك مديرة الاتصالات الاستراتيجية في شركة كوكا كولا، وريتشارد فيشر من دالاس الموظف في شركة لإدارة الأعمال، وتشارلز جونسون النائب الأول لرئيس شركة بايونير هايبرد انترناشونال التي تتعامل بما لا

يقبل عن مليار دولار سنوياً في الصناعة الزراعية. ولا يخفي هؤلاء جميعاً أنهم لعبوا، منذ ذلك الوقت، أدواراً متفاوتة في بلورة الأفكار الاقتصادية التي يستند إليها برنامج بيل كلنتون الانتخابي.

يمكن، عملياً، تقديم مئات الأسماء من المقربين إلى «الرئيس» وهم، أيضاً، من ممثلي الشركات الكبرى ومن المدافعين عن مصالحها، أو القطاع الصناعي التي تعمل فيه، أو الدولة الأجنبية التي تمثلها.

## الإعلام

كانت وسائل الإعلام أقرب إلى كلنتون منها إلى بوش خلال الحملة الانتخابية. ومن الأمثلة الدالة على ذلك عنوانان لـ «واشنطن بوست»، الأول ظهر في الصفحة الأولى يوم ٢٢ أيلول (سبتمبر) حول استقصاء للرأي العام يرجح فوز المرشح الديمقراطي: «تقدم كلنتون يبدو صلباً وربما ازداد». أما الثاني فظهر بعد أسبوع تماماً - على الصفحة السادسة هذه المرة - وجاء فيه، تعليقاً على الانخفاض في شعبية كلنتون «تراجع كلنتون في الاستطلاعات يظهر عيوبها». لم يظهر ميل الإعلام إلى كلنتون من خلال تجاهل سجله في حرب فيتنام فقط، بل من خلال رفض التركيز على ما اعتبر فضيحة علاقته مع جنيفر فلاورز. لقد ادعت هذه أنها بقيت على علاقة حب مع كلنتون المتزوج لمدة ١٢ سنة، وأنه عمل على إيجاد وظيفة لها ضمن إدارته. أما كلنتون فاكتمى بالاعتراف بأنه تعرّض لأزمات في زواجه. وردت فلاورز على ذلك بتقديم تسجيل هاتفي عن حوار مع «صديقتها» يعترف لها فيه بحبه لها ويطلبها أن تتجاهله في ما لو سئلت عن ذلك.

«فضيحة» من هذا النوع أخرجت غاري هارت من السباق الرئاسي

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

في عام ١٩٨٤ . ولكن هذه المرة، وعلى رغم وجود التسجيلات، تجاهلت وسائل الاعلام، في غالبيتها، ما أوردته مجلة «ستار» في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٩٢ . وفي حين كان كلنتون يعتذر إلى الحاكم ماريو كومو عما نسب إليه في التسجيل من كلام مهين بحق هذا الحاكم «المافيوزي»، كانت «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست» تكذبان فلاورز وتتهامانها بالتزوير. والتقت الصحيفتان مع «نيوربيليك» على التعطيم على الخبر وعدم ابرازه. لعل السبب الأبرز وراء موقف الإعلام غير المتهاون مع «بطل حرب الخليج» هو أن هذا القطاع يعيش، منذ سنوات، أزمة اقتصادية تجعل منه هو الآخر صاحب مصلحة، في التغيير. ويمكن، فضلاً عن ذلك، ايراد أسباب أخرى، احدها ذلك الذي ذكرته بيغي نونان، كاتبة خطابات ريغان، والقائل ان كلنتون قاد حملته بشكل جذاب: الرحلات في الباص، الفيس برسلي، الساكسوفون، الظهور في برامج التلية التلفزيونية الخ... كذلك تحدث كلنتون بطلاقة، ومن دون تلثم وأخطاء، حتى أن المواطن كان يعيش لحظات من «أحلام اليقظة» وهو يستمع إليه ولو أنه لا يتابع، بدقة، كل كلمة يقولها. وفي المقابل بدا بوش محدثاً غير ناجح، مملاً، يخطيء كثيراً، لا يكمل جملته، ويتورط في تعابير متطرفة من نوع قوله ان الاقتصاد الأمريكي يمر في مرحلة «سقوط حر» تُذكر بركود الثلاثينات.

كلنتون: نجم إعلامي

نجح كلنتون في استغلال البرامج التلفزيونية الشعبية لصالحه وفعل ذلك أفضل مما فعل المرشح المستقل روس بيرو. وتقول الاحصائيات

ان المناظرات التلفزيونية في حملة عام ١٩٩٢ شوهدت أكثر من أي حدث في التاريخ الأمريكي بما في ذلك الاحداث الرياضية الكبرى. شاهد الندوة الثانية ٨٩ مليون أمريكي وشاهد الأخيرة حوالي المئة مليون. وعلى خلاف المرات السابقة اعترف ناخبون كثيرون أن المناظرات أثرت على موقفهم من المرشحين. وتصل نسبة «التأثرين» الى ٧٠ في المئة في حين أنها كانت ٤٨ في المئة عام ١٩٨٨.

ظهور كلتون في برنامج «ارسينو هول» يعزف الجاز لابساً النظارات السوداء، أعطى الانطباع بأنه شخص مجدد فعلاً لا يشبه السياسيين التقليديين في واشنطن. كذلك كان مروره ناجحاً جداً في برنامج دانيو اليومي الذي يطرح المشاكل الاجتماعية والعائلية. ومع أنه تعرّض لمنافسة جديّة من روس بيرو (حتى ان هذا الأخير كاد يقدم نشرة الأحوال الجوية، كما تقول احدي النكات)، فقد استفاد جداً من كونه ابن امرأة عاملة تزوجت رجلاً سكّيراً، أي من كونه شبيهاً بأي مواطن عادي، وقادراً، بالتالي، على فهم قضاياها. في المقابل لم يعرف بوش استخدام الشاشة الصغيرة لمصلحته، وقد صدم مواطنيه عندما نظر الى ساعته ثلاث مرات وكأنه ينتظر انتهاء الوقت في حين أن السؤال المطروح عليه يتعلق، بالضبط، بالتأثيرات التي تركتها الأزمة الاقتصادية على حياته الشخصية.

ليس صدفة أن جيمس بيكر حاول عند تسلّمه إدارة حملة بوش، التقليل من المناظرات التلفزيونية بين المرشحين الثلاثة وزيادة عدد الصحافيين طارحي الأسئلة. وكان همه انقاذ بوش من التطويل والتعمق في الاجابة لأن ذلك يزيد احتمالات الخطأ ويضعف ثقة الناس بالرجل.

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

والمعروف أن الاعلام الأمريكي يركز، أساساً، على المرشحين وشخصياتهم ومبادئهم وأفكارهم وأساليبهم ولا يهتم كفاية بالقضايا الفعلية المطروحة في المجالين الداخلي والخارجي وبرامج التعامل معها.

وقد أظهرت الحملة أبعاداً في شخصية كلنتون يجعلها الجمهور. ولا شك في أن شخصيته تطوّرت في أثناء المعركة كما تطوّر خطابه السياسي. وهو أثبت أنه يستطيع الإفادة مما تعلمه في لجان الحزب ومن النقاشات الايديولوجية والاقتصادية التي خاض فيها. وظهرت آثار ذلك في الخطاب التي ألقاها وبشكل خاص في خطابه لدى قبول ترشيح الحزب له.

ويروي عارفو كلنتون أنه طلق اللسان منذ الصغر وأنه متى بدأ الحديث يصعب إيقافه. ويقال ان اللحظة الصعبة في اللقاء معه هو لحظة الوداع لأنه لا يتوقف عن الكلام. ومما لا شك فيه أن الصحافيين يجنون هذا النوع من السياسيين لأنه يجيب عن كل أسئلتهم ويجعل من أداء المهمة عبئاً خفيفاً.

ومن الصفات اللصيقة بكلنتون حبه السياسة وهو لا يحتاج إلى كثير من التمرين كي يحسن الخطابة. ويذكر أصدقائه أنه كان يمضي فترة التحضير للبرامج التلفزيونية محاضراً في مستشاريه، بدل أن يستمع إلى آرائهم وإلى تصورهم لإستراتيجية النقاش. وينجح كلنتون في أن يقتبس من صديقه الاقتصادي روبرت رايش مضيفاً إلى الجملة التي يستعيرها منه جملة من خير آخر مقرب إليه هو ايرا ماغازينر. وكونه كثير الكلام لا يلغي أنه مستمع جيد يحسن الافادة من الطاولات

المستديرة التي يحصرها ويستعير منها ما يطور نظرياته ومفاهيمه . وتختلط هنا قدرته على الفهم بقدرته على الحفاظ حتى ليبدو قادراً على ايراد كمية كبيرة من الأرقام والاحصاءات .

تعلم كلنتون أنه من الأفضل له أن يشرح القضايا المطروحة ويفسرها بدل أن يتخذ مواقف حاسمة منها . فاتخاذ المواقف يمكن أن يرتد على صاحبه لاحقاً ، ولذلك فإنه ، في حال الاضطرار إلى ذلك ، يستحسن إيجاد صيغة وسطى ترضي أكبر عدد ممكن .

تعاطى كلنتون مع الإعلام بهدف كسب التأييد . كان يشرح لساعات تفاصيل وحيثيات الملفات الاقتصادية والاجتماعية ، واشتهر بأنه يبدأ بطرح خمسة عناوين عامة ، مثلاً ، لموضوع ما ، ثم يتفرع كل عنوان إلى ثلاث نقاط ، وكل واحدة إلى ثلاثة بنود ، ثم يعاد بناء كل شيء من القاعدة إلى القمة مدعوماً بالأرقام والتواريخ والجمل المنتقاة . وغالباً ما يبدو الارتجال وكأنه معد سلفاً .

فبينما كان بوش يتحدث عن الانتصارات في العالم ، كان كلنتون يخاطب العقول المضطربة بسبب الأزمة الاقتصادية ، قائلاً لها ، بطريقته ، انه لا يتفهم الوضع فحسب بل يملك حلولاً له . ومن هنا إصراره الدائم على إعطاء الأولوية للوضع الداخلي ، مع الاعلان عن الاهتمام بالمصالح الأمريكية عبر الحدود . وإذا كانت بربرة بوش قد شكّلت عاملاً لعب لمصلحة زوجها ، فإن كلنتون استغل سمعة زوجته هيلاري ، كواحدة من أبرع المحامين وكأخصائية في شؤون التربية والثقافة على المستوى الوطني . وربما كانت هيلاري المسؤولة عن جذب تأييد منظمات نسائية كثيرة لزوجها ، فضلاً عن اتحاد المعلمين .

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

تؤكد مجلة شهرية مختصة في مراجعة الصحافة، هي «مجلة صحافة كولومبيا» (Columbia Journalism Review) ان وسائل الإعلام قررت في عام ١٩٩٢ عدم السماح للمرشحين، ولبوش خاصة، بإدخال التغطية الاخبارية للانتخابات في قنوات هامشية: الصورة إلى جانب العلم الوطني، استغلال عفو دوكاكيس عن المجرم الأسود ويلي هورتون، إلخ. . ويدل هذا القرار على الإفادة من دروس التجربة في عام ١٩٨٨.

والعامل الآخر الذي لعب لصالح كلنتون في المجال الاعلامي له صلة بالحزب وبالعلاقات المؤثرة لأصدقاء المرشح في هذا الوسط. ويتناول هذا التأثير المعلقين والصحافيين كما أنه متصل برؤوس الأموال الموظفة في الصحافة. هذه أمثلة عن الدور الذي لعبه عدد من الصحافيين والمعلقين. ان ستروب تالبوت معلق رئيسي في مجلة «تايم» التي تصل إلى ملايين من القراء. وتالبوت صديق لكلنتون منذ أيام أكسفورد وكذلك لمايكل ماندلبوم أحد أبرز مستشاريه للشؤون الخارجية. لقد درسا معاً في جامعة ييل وهما يكتبان ويسافران معاً ويستشير أحدهما الآخر قبل نشر مقالة أو دراسة له. وقد دافع تالبوت عن كلنتون في موضوع حساس من نوع الامتناع عن الخدمة العسكرية أثناء حرب فيتنام، رايأ قصة صديقهما المشترك الذي انتحر احتجاجاً على الحرب.

ومايكل مندلبوم هو مدير قسم شرق - غرب في فصلية «فورين أفيرز»، وهو يكتب دورياً في صحيفة «نيويورك نيوزداي»، أهم الصحف في منطقة نيويورك. أما كاترين غراهام صاحبة يومية «واشنطن بوست» وأسبوعية «نيوزويك» فمن المتحمسين لكلنتون،

وهي تعلن ذلك وتنظر بعين الرضى إلى المقالات التي تدافع عنه في مؤسساتها.

والمعروف أن «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز» كتبتا افتتاحيتين تدعوان إلى التصويت لكلنتون. وفي «نيويورك تايمز» تميز لزي غالب، أحد أهم المعلقين، بكتابة المقالات الايجابية حيال المرشح الديمقراطي. وكان غالب قد عمل مع انتوني ليك (مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي حالياً) في وزارة الخارجية أيام جيمي كارتر ووضعاً كتباً مشتركة. وعلى هذا الأساس لوحظ أن غالب كان على علم مسبق بمعظم التعيينات التي أقدم عليها الرئيس الجديد وذلك قبل الاعلان عنها رسمياً. وقد أبدى الصحافيان وليم سافاير. وأ. م. روزنتال تأييدهما لكلنتون بسبب تأييده لاسرائيل ونشرا تعليقات عدة في هذا الموضوع في «نيويورك تايمز» التي تستعيد صحف أمريكية عدة التعليقات المنشورة فيها وفي «واشنطن بوست».

إلى ذلك حظي كلنتون بدعم واضح من مجلتي «يو. إس. نيوز. إند وورلد ريبورت» و«نيو ريبليك». ولا يمكن الحديث عن التأييد الاعلامي العام لكلنتون من دون الاشارة إلى الدور الخاص الذي يلعبه «اللوي اليهودي» في هذا المجال، سواء في الصحف والمجلات الوطنية أو الصغيرة أو في شبكات التلفزيون.

لقد استاء المحافظون الجدد، أمثال وليم سافاير من بوش، لا لأنه تخلى عن جوانب في سياسة ريغان فحسب بل لأنه لم يدعم اسرائيل كفاية حسب رأيهم. وزاد في الطين بلة أن اعتبر من قبل أشخاص من أمثال جيم هوغلاند مسؤولاً عن «عراق - غيت» وعن عدم الذهاب

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

حتى النهاية في الحرب ضد العراق. وانضم إلى هؤلاء ايدولوجيو الحرب الباردة من نوع بول نيتزي وادوارد لوتشاك ومجموعة من الجمهوريين المحافظين تعرف باسم «سكوب جاكسون».

أدرك بوش في منتصف حملته أن الاعلام لن يهأنه. ولذلك رفع أنصاره الشعار التالي: إذا أردت ازعاج الاعلام انتخب بوش! وقد استغل الرئيس السابق برنامج لاري كينغ التلفزيوني ليصفي حسابيه مع الصحافه. ومع أن العلاقة السلبية استمرت فقد صرح مارلين فيتروتر لاحقاً بأن التغطية الاعلامية لم تكن هي الحاسمة في خسارة رئيسه.

## كلنتون الانسان

قبل الدخول في حيثيات الرئاسة والسياسة الخارجية، لا بد من عودة إلى الوراء للتعرف على طفولة الرئيس الجديد وسيكولوجيته. ويقال ان وزير الخارجية السوفياتي السابق إدوارد شيفاردنازة طلب من الاستخبارات السوفياتية ملفاً عن مثيله الأمريكي جيمس بيكر قبل اجتماعه الأول به. واعترض بعد ذلك على نوعية التقرير المقدم وطلب تقريراً آخر عن بيكر. شخصيته، أسلوبه، طفولته، سيكولوجيته وكيف يتصرف مع «الإنسان بيكر»، وليس فقط الخلفية السياسية التي تؤثر فيه.

وبالفعل جاء التقرير عن بيكر يشير على سبيل المثال إلى أن الوزير الأمريكي ما يزال متأثراً بأبيه، وأن تعامله مع النتائج والانجازات يأتي من منطلق عدم الاقتناع وطلب المزيد دائماً بحسب ما كان والده يتوقع

منه وهو طالب. وأوصى التقرير أن يسير شيفاردنادزة خطوة إلى الوراء قبل بيكر حتى يعطيه الشعور بالقوة.

بالمعنى نفسه يقول القريبون من كلنتون (عندما كان حاكم ولاية أركنسسو) أنه من النوع الذي يبذل جهده من أجل إرضاء الجميع أو على الأقل الأكثرية. وما عدا ذلك فهو حميم جداً ومن الصعب وداعه بسهولة من دون مصافحة قوية أو مداعبة. وبناء على هذا الانطباع نشأ أهم لقب له وهو (Slick Willie)، أي اللزج الأملس، والمقصود ذاك الذي يحاول أن يرضي الجميع.

ولم يتورع معلقون كثيرون خصوصاً الذين لاحقوه لسنواتٍ طويلة، عن تفسير سلوكه بالقول انه يعكس التناقضات الكثيرة في شخصيته، والأهم من ذلك أنه يعكس «الطفل» فيه وتربيته. إلا أن عملية التعرف بعمق وبصورة مفصلة على أخلاقه تترك السؤال معلقاً بعض الشيء بين ما إذا كانت مواقفه المتناقضة تعكس شخصاً كاذباً أم تربية تشجع الصدامية والتناحر.

لقد توفي والد كلنتون قبل مجيء ابنه بأربعة أشهر في حادث سير. وعندما وُلد أعطته أمه اسم وليم بلايت الرابع. وكان يشبه «المرحوم» كثيراً: شكلاً وحركات حتى في هزة رقبته المشهورة.

وبعد ولادته اضطرت أمه إلى إكمال دراستها الحرفية والاعتناء به في الوقت ذاته. ثم ذهبت إلى نيو أورليانز لدراسة التمريض (اختصاص التخدير) وتركت الصغير وليم مع أبويها اللذين كانا يملكان دكاناً في حي تسكنه غالبية من السود في أركنسسو حيث بقي حتى السابعة من عمره (أي خمس سنوات)، في الوقت الذي أنهت الوالدة دراستها

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

وتزوجت من روجر كلنتون الذي كان يعمل مع أخيه في وكالة بيع سيارات «بويك».

ويقال ان التناقض الأساس بدأ هنا. إذ بعد قضاء خمس سنوات من الحنان عند جدّيه، دخل الصبي بيل إلى بيت أمه المتزوجة من رجل يشرب الخمر كثيراً في الليل ويصبح عنيفاً مع العائلة: الأم وبيل والأخ الجديد روجر جونيور. إلا أنه عوّض ذلك بمزيد من الاقتراب من أمه، وبدا لاحقاً أن تأثيرها كان أكبر وأهم.

في وقت لاحق، عندما بلغ بيل الرابعة عشرة، وضع أمه وشقيقه جانباً وصاح في «والده» بأنه إذا ما أراد أن يكون عنيفاً مع أي منهما فلا بد له أن يواجهه أولاً... وكانت هذه ربما أولى معاركه التي ربحها.

بعد ذلك طلّقت الأم زوجها روجر، ثم تزوجته من جديد (ومنذ ذلك الحين تزوجت وطلّقت أربع مرات). وفي هذا الوقت كان قد غلب عليه اسم بيل، الذي هو تصغير اسم وليم.

وعلى رغم تاريخ العائلة المليء بالعنف، فإن تضحية الأم وحنوها على بيل أديا في النهاية الى التغلب على الجانب المظلم. وبرز هذا الأمر جلياً عندما أدرك العشرين، إذ كان يعود من جامعة جورج تاون إلى أركنسو ويقضي بعض الوقت مع زوج أمه المريض. وفي إحدى المرات أعلن الأب و«الابن» محبتهم لبعضهما البعض على رغم الماضي البغيض لعلاقتهم.

علمته تلك الأيام الصعبة تحمل أعباء المسؤولية باكراً. ويقال انه في أيام دراسته الثانوية كان «يستقبل» الطلاب الجدد في بداية كل سنة دراسية ليعلن لهم أنه رشح نفسه لهذا المنصب أو ذاك، بل إنه لم يفوت

فرصة واحدة لتأكيد هذا الأمر وإبراز جانب اللطف في التعامل مع زملائه وخصوصاً الجدد منهم .

درس كلنتون السياسة الدولية في جامعة جورج تاون في واشنطن . وفي العام ١٩٦٧ عمل لدى السناتور فولبرايت الذي كان معادياً للحرب الأمريكية في فيتنام في ولاية أركنسو . وأطلق آنذاك لحيته وتظاهر ضد الحرب . وبعد ذلك ذهب إلى انكلترا ودرس في جامعة أكسفورد، ومن ثم التحق بجامعة بييل حيث درس المحاماة، وهناك التقى بزوجة المستقبل هيلاري .

أثناء دراستها في بييل عمل الزوجان كلنتون في الحملة الانتخابية لجورج ماكغفرن في العام ١٩٧٢، وقضى لهذه التجربة أن تكون من أهم تجاربه في الحقل السياسي الحزبي، إذ بدأ عمله فعلياً في القمة وكان في الخامسة والعشرين آنذاك .

ولئن كانت شخصيته تبلورت في طفولته، خصوصاً لجهة طباعه وتصرفاته (الإيجابية منها تحديداً)، فإن الخبرة في السياسة والتنظيم والعمل الجاد شكّلت في فترة شبابه، فهو أدرك حينها أن طموحه السياسي لا بد وأن يتبلور في ولايته أركنسو، وليس من خلال الحملات الانتخابية والمكاتب الحكومية في تكساس وواشنطن، وعندما خسر الانتخابات لعضوية الكونغرس في العام ١٩٧٤ انتبه إلى قلة خبرته في التعامل مع عامة الناس خارج الجامعات والمكاتب الحكومية . وعامة الناس في أركنسو ليست طبقة من المثقفين أو الأغنياء أو المسيّسين بل هي «عامة» فعلاً .

في العام ١٩٧٦ خدم في منصب المدعي العام لولاية أركنسو ما

رحلة كلنتون الى البيت الأبيض

مكّنه من التعرف على آلية صنع القرار في الولاية. ومن هنا بدا واضحاً أن لا نهاية لطموحاته وأنه يستغل كل انجاز ليبنى عليه إنجازاً آخر. هكذا رشح نفسه لمنصب حاكم الولاية في عام ١٩٧٨، وفاز وأصبح أصغر حاكماً لها. أما خسارته المنصب ذاته بعد عامين، فقد علمته الكثير وغيرت في شخصيته الكثير أيضاً.

من أبرز ملامحه العصبية والنرفزة، على رغم أن ذلك لا يبرز أمام الإعلام أو أمام الجمهور. وخلال المرحلة الأخيرة للحملة الانتخابية الرئاسية، بدا أنه بدأ ينجس تفوقه على بوش في استطلاعات الرأي فصار عصبياً جداً في تعامله مع مساعديه. وبسبب ذلك، كان يصاب ببحّة في صوته، حتى منعه الطبيب في العام الماضي مراتٍ عدة من الكلام.

وكلنتون هذا «شغيل» ودؤوب بصورة مذهلة. فهو يعمل ساعات طويلة تزيد على الـ ١٥ ساعة يومياً ويتابع التفاصيل الصغيرة والكبيرة. لكنه من النوع الذي «يتفرغ» بعد العمل للعب الورق مع مساعديه، وهو يستطيع في هذا المضمار التصرف كخبير في لاس فيغاس.

وعنده أيضاً روح دعابة من النوع اللطيف. ومن دون أن يكون بالضرورة صاحب نكتة، إلا أنه من النوع الذي يضحك خلال حديث عادي. ومع أنه يبدو في صحة جيدة، بطول قامته ومظهره اللائق وشعره الذي يختلط فيه الرمادي والأسود والوجه الذي يذكر بوجوه الممثلين العالميين، فهو مرهق دائماً يتناول حبوباً طيبة للمعدة والرأس، ويأكل مختلف أنواع الوجبات خصوصاً السريعة منها التي تُسمى في الولايات المتحدة الأكل الرثّ (Junk food).

إلا أنه نادراً ما يشرب الكحول، وهو يأكل مربى الفستق والموز وبوظة المانغا، وباختصار، يأكل أي شيء تقريباً.

وعند العودة الى طفولته، يبدو أن المدينة التي ترعرع فيها في أركسنو، وهي هوت سبرينغ Hot Spring (أو الربيع الحار) تحتوي على نوعين من النشاطات: الكازينو وسباق الخيل من ناحية، والمعمدانية أو الأصولية المسيحية الجديدة من ناحية ثانية. ولم يكن مستغرباً أن يعيش هذا التناقض في شخصيته، إذ أنه يلعب الورق (من دون رهان) فيما أمه لا تزال تراهن على سباق الخيل، ويتحدث كثيراً عن الأخلاق والعائلة ويقراً كتب الروائي الكولومبي الحائز على جائزة نوبل للآداب غابرييل غارسيا ماركيز.

وإلى ذلك يمارس كلنتون هواية لعب الغولف وحل الكلمات المتقاطعة إلا أن هوايته المفضلة هي العزف على الساكسوفون، ويقال انه تدرب يومين كاملين على مقطوعتين قبل تقديمهما في برنامج أرسينو التلفزيوني الذي كان جزءاً رئيسياً من حملته الانتخابية، وان نقاشاً استمر لساعات بين خبراء حملته في شأن ما إذا كان يجب عليه وضع نظارات سوداء على عينيه خلال العزف أم لا. وفي النهاية وضع النظارات وكان لها تأثيرها الايجابي الموازي للتأثير السلبي الذي نتج عن انتقاده مغنيةً سوداء تغني ضد السلم بين البيض والسود.

## الفصل الثاني

### الرئاسة وسياساتها ورموزها

«كان الجناح التنفيذي يمتلك سلطة كبيرة في مجال العلاقات الخارجية. لكنه، مع حصوله على حق إقحام الدولة في حرب فإنه اقترب من القدرة المطلقة على تقرير حياة أو موت كل أمريكي، لا بل ملايين الناس في العالم. ليس هناك إنسان أو مجموعة من الناس حية هي من الحكمة والقدرة بحيث يمنحها المرء هذه السلطة الهائلة. لقد أدى تركيز سلطة السلم والحرب في يد الرئيس إلى إزالة الحدود التي وضعها الدستور تنظيماً لأحد أهم أوجه الحياة الوطنية. وفي انتظار إعادة رسم هذه الحدود، سيبقى الشعب الأمريكي مهدداً».

(لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ بعد حكم جونسون)

دخل بيل كلنتون البيت الأبيض وبدأ يتقاضى، اعتباراً من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٩٣، مرتباً مقداره ٢٠٠ ألف دولار سنوياً بالإضافة إلى ٥٠ ألفاً للمصاريف، و١٤٥ ألفاً لنفقات التسلية. وسيكون تحت تصرفه ١٣ سيارة ليموزين، وعدد من المروحيات التي يطلق على الواحدة منها اسم (Navy-1) عندما يكون الرئيس على متنها، و١٨ طائرة بما في ذلك اثنتان من نوع بوينغ ٧٤٧ وتسمى احدهما (Force-1) عندما يكون فيها. يسكن الرئيس وعائلته في

البيت الأبيض المؤلف من ١٣٢ غرفة ويضم قاعة عرض سينمائية ومركز تدريب رياضي وقاعة بولينغ. إلى ذلك سيكون في تصرفه بيت لتمضية الإجازة في كامب ديفيد.

صحيح أن مرتب كلتون أقل مما يحصل عليه الكثيرون من مدراء الشركات الأمريكية الكبرى، أو زعماء العالم الثالث، إلا أنه نظرياً، صاحب أكبر نفوذ في العالم.

وفي الواقع فإن الحكومة تنفق على الرئيس ما بين مليار ومليار ونصف المليار من الدولارات سنوياً. ويعمل في البيت الأبيض حوالي ٥٠٠ موظف في خدمة الرئيس مباشرة. يستقبلون المعلومات ويحللونها ويعرضونها وينقلون الأوامر. وإذا كان الرئيس هو المسؤول الأول عن ثلاثة ملايين موظف في الحكومة الفدرالية فإنه يعين، فور دخوله إلى البيت الأبيض، أكثر من خمسة آلاف مسؤول جديد.

الرئيس، حسب الدستور، هو المسؤول الأول عن تنفيذ السياسة الخارجية للولايات المتحدة. غير أنه أصبح، حسب كلمات هاري ترومان أمام مجموعة من ممثلي الطائفة اليهودية، «مبلور السياسة الخارجية». ينص الدستور، أيضاً، على أنه قائد القوات المسلحة غير أن التعديلات عليه توجب التنسيق مع الكونغرس قبل اعلان الحرب، وإلا امتلك هذا الأخير الحق في وقف صرف الميزانية للجيش بعد شهرين من العمليات.

يعطي الدستور صلاحيات للكونغرس أكثر مما يعطي الرئيس، إلا أن قلة المواد المكرسة لذلك وغموضها أديا، في ظل المعطيات المحلية



فلنتون مع جيمي كارتر



ل غور - نائب الرئيس



كلتون في احدى الحملات الانتخابية



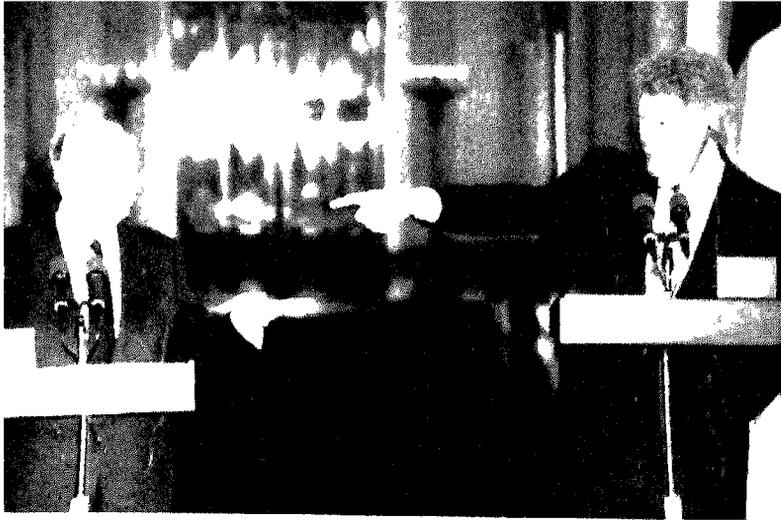
كلتون يعزف على الساكسوفون في احدى الحملات الانتخابية



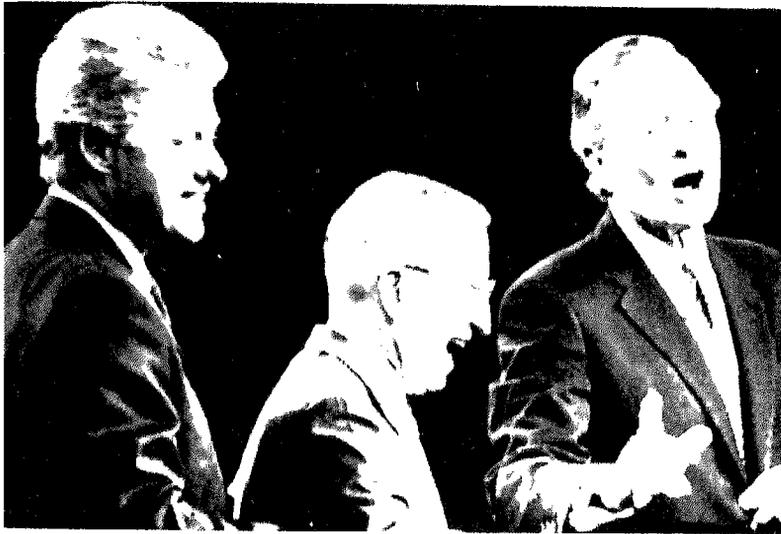
كلنتون مع آل غور



كلنتون مع بيلتن



بلال لقاء مع الرئيس الفرنسي



لمنتون خلال احدى المناظرات التلفزيونية مع جورج بوش وروس بيرو



خلال الحملة الانتخابية ١٩٩٢



كلتون مع جيسي جاكسون.



كلنتون مع وارن كريستوفر وليس آسبين



ارن كريستوفر (الى اليسار) يبتسم ويشاركه الابتسامة ليس آسبين



الرئيس كلنتون يحيي مؤيديه أثناء حملته الانتخابية في ديترويت



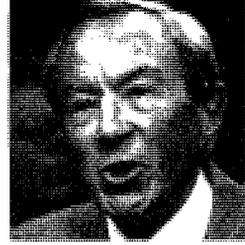
كلنتون في اليوم الاول  
في البيت الابيض



انتوني ليك  
مستشار الامن القومي



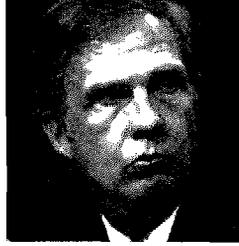
ليس اسبين  
وزير الدفاع



وارن كريستوفر  
وزير الخارجية



بيتر تارنوف  
وكيل وزارة  
الشؤون السياسية



وينستون لورد  
مساعد وزير الخارجية  
لشؤون شرق آسيا والهاديء



صامويل برغر  
نائب مستشار  
الامن القومي



ولسي  
مدير المختبرات المركزية



ستروب تالبوت  
سفير فوق العادة



تيموثي ويرث  
وكيل وزارة الشؤون العالمية

والدولية الجديدة، إلى إعادة تفسير النص لا بل الخروج عنها. والملاحظ أن «الآباء الأوائل» خصصوا فقرات من الدستور تتناول من يمكنه أن يصبح رئيساً أكثر مما خصصوا لمهام هذا الرئيس.

لقد أدت عوامل عدة إلى ازدياد صلاحيات الرئيس أكثر مما هو محدد له في البند الثاني من الدستور ومن هذه العوامل التطور الديموغرافي واتساع رقعة الولايات المتحدة وارتفاع قوتها عبر المحطات والنظورات التكنولوجية.

وفي ما يتعلق بالسياسة الخارجية حسم البيت الأبيض علاقته مع الكونغرس لصالحه، ويمكن التأريخ لهذه العملية بانتهاء الحرب العالمية الثانية. وقد ندمر رؤساء كثيرون من بطاء البيروقراطية وتخلّفها عن مواكبة العصر وتفاقم التحديات الخارجية، الأمر الذي يستدعي سرعه أكبر في بلورة الخيارات واتخاذ القرارات. وزاد في ذلك تواتر الحالة التي نحد فيها أن الرئيس والكونغرس لا ينتميان إلى الحزب نفسه.

واضطرت الرئاسة إلى تطوير مؤسسات صغيرة وفعالة مرتبطة بها وتتولى التعامل مع هذه البيروقراطية الهائلة النادرة المثل في التاريخ. من هذه المؤسسات «مكتب الرئيس التنفيذي» (E.O.P.) الذي ينسق مع جهاز الحكومة الفدرالية، ثم انضم إليه «مجلس الأمن القومي» (N.S.C.) الذي أنشئ عام ١٩٤٧، ومجلس المستشارين الاقتصاديين (C.E.A.) ومكتب الإدارة والميزانية (O.M.B.) (يضم ٦٠٠ موظف وفد تشكل في عهد نيكسون)، وأضاف كلننون إلى هذه المؤسسات «مجلس الأمن الاقتصادي» للنسيق بين البيت الأبيض ووزارات الخارجية والتجارة والمالية.

أدت هذه العملية إلى تركيز سلطات ضخمة بين أيدي أفراد قلائل في البيت الأبيض. ووجد الرئيس أن صلاحياته قابلة للاستغلال والتوسع في السياسة الخارجية أكثر من السياسة الداخلية. ويصح ذلك، في شكل خاص، عند التعارض بين انتهاكات الرئيس والكونغرس. ثم ان هذا الأخير يبقى دائماً عرضة لضغوطات «اللوبيات» المحلية المؤثرة (سياسة الإدارة في الشرق الأوسط هي عرضة لضغوطات الكونغرس لأنه يتلقى ضغط اللوبي اليهودي).

ولا تمنع الحدود القانونية والبيروقراطية الرئيس من اتخاذ مبادرات لا يحتاج فيها إلى موافقة الكونغرس. فقد سبق للرؤساء مكينلي وتافت وويلسون وكوليدج استخدام الجيش من دون إذن. وهذا أيضاً ما فعله كارتر في إيران وريغان في غرينادا وبوش في بنما، وهذه كلها مهمات غير دفاعية حصلت من دون الموافقة المسبقة للكونغرس. وجدير بالذكر أن هذا الأخير دعم الدور الأمريكي في كوريا من دون أن يصوت على الحرب وخصص لها والحرب فيتنام ميزانيات غير مشروطة باستشارته. وحتى عندما كان الكونغرس جمهورياً والرئيس ديمقراطياً، كما بين عامي ١٩٤٧ و١٩٤٩، نجد أن ترومان طبق «خطة مارشل»، وأسس حلف شمالي الأطلسي وأعلن عن سياسة «النقطة الرابعة» من غير الرجوع إلى الكونغرس. لقد ازدادت صلاحيات الرئيس في مجال السياسة الخارجية تدريجياً مما جعل أي اتفاق يعقده البيت الأبيض مع دولة أهم من اتفاق يوقع عليه الكونغرس، علماً أن الدستور ينص على غير ذلك.

وقد سمح هذا الوضع لولتر مونديل أن يقول، عندما كان سناتوراً في عام ١٩٧٥، أنه «بينما يبحث مجلس الشيوخ في معاهدة مع

المكسيك للحفاظ على الآثار القديمة فيها، يقوم الرئيس بتقديم ضمانات للدفاع عن أنظمة مؤيدة لأمريكا في جنوب شرق آسيا من خلال اتفاقات مباشرة مع البيت الأبيض». ومن التبريرات التي يستخدمها الرئيس القول ان التصرف الفردي اضطراري لأن حياة الأمريكيين أو ممتلكاتهم في خطر، أو لأن الكونغرس غير منعقد، أو لأن المطلوب توحيد الموقف بحيث لا تشعر الدول الصديقة بالإرباك.

وقد جاءت التطورات التكنولوجية والعسكرية لتدعم هذه الوجهة. فالرئيس يملك، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، «شيفرة» الأسلحة النووية التي يحملها مرافق دائم في حقيبة تسمى «الفوتبول» (كرة القدم). يعيش العالم عصر التكنولوجيا الحديثة، وتتوزع الصواريخ والغواصات وحاملات الطائرات في المحيطات واليابسة مدعومة بشبكة مذهلة من وسائل التجسس والأقمار الاصطناعية. وبما أن الرئيس هو الذي يحصل، أولاً بأول، على المعلومات، من التحركات العسكرية السوفياتية إلى الحشد العراقي على حدود الكويت، فمن «الطبيعي» أن يتصرف من دون استشارة الكونغرس. يمكنه، في بعض الحالات، الاستشارة ولكن لا يمكنه تعليق القرار إلى حين انتهاء المداولات. وهو يعتبر أن هذه الثقة هي أقل ما يمكن منحه لحامل «شيفرة» الأسلحة التي يمكنها تدمير العالم قاطبة.

وبما أن العادة درجت على عقد المقارنات يمكن القول ان بيل كلنتون يملك صفات رؤساء سابقين، وهي صفات طبعت أداءهم الرئاسي.

أدار كلنتون حملته بصورة مشابهة لتلك التي اعتمدها ترومان

والقائمة على التنقل السريع في الولايات. وأظهر قوة إقناع ومعرفة بالملفات الاقتصادية من نوع ذلك الذي ميز جيمس آدامز. وهو، مثل غيره، بدأ محامياً ومر عبر الحزب قبل أن يصبح رئيساً. وهو، في هذه الناحية، يشبه ثيودور روزفلت الذي حكم ولاية نيويورك وانتزع مواقع في الحزب واستفاد من فترة الركود في الثلاثينات لينتزع الرئاسة من ماكينلي كما انتزعها كلنتون من بوش.

والرئيس الجديد شاب ليبرالي كما كان جون كندي، يحمل الكثير من سمات التفكير «الولسوني». وإذا كان كلنتون قد فاز بنسبة ضئيلة مثل كندي فإنه ركّز في حملته، مثل ريغان، على عدد محدود من الموضوعات. وتصرف، منذ أيامه الأولى، على مثال كارتر لناحية طرح مواضيع عامة وتوزيعها إلى بنود متجنباً تحديد الهدف البعيد وتوضيح الخطوات المناسبة للوصول إليه.

فعلى نقيض ما هو شائع عربياً، يعتقد كلنتون أن حملة ماكغفرن لم تكن على صلة بهموم الناس، كما لم تكن واقعية في برنامجها.

لقد نفذ روزفلت سياسة «العقد الجديد» (New Deal) التي وسعت صلاحيات الرئاسة في الشؤون الداخلية وذلك قبل توسيعها في السياسة الخارجية بما شمل القنبلة النووية ومشروع مارشال. وقاد ترومان سياسة «العقد العادل» (Fair Deal) حيث ازداد دور الدولة في شؤون الاسكان والتعليم والصحة. وبعد استمرارية محدودة في عهد ايزنهاور، طرح جونسون «العقد الكبير» (Great Deal) الذي أدى إلى توسع كبير في النفوذ الاقتصادي والاجتماعي للحكومة. وحاول نيكسون التملص من ذلك ولكن المحاولة ارتدت عليه بسبب معارضة

الرئاسة وسياساتها ورموزها

الكونغرس والجهاز الحكومي والصحافة، الأمر الذي أدى إلى وصول كارتر.

واليوم وبعد اثني عشر عاماً من حكم الجمهوريين، يُطرح السؤال مرة أخرى: هل سيستطيع كلنتون بلورة سياسات ومفاهيم تعبر عن عقد جديد.

### السياسة الخارجية

اعتمدت الولايات المتحدة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، سياسة «الاعتراف بالأمر الواقع» (Real Politique) القائمة على أن العالم مضطرب ولا يسير حسب «رغباتنا ومفاهيمنا»، ما يعني أن «علينا» امتلاك أكبر قدر من القوة لحماية الهيمنة. ومن هذا المنطلق كان المطلوب التركيز على الاتحاد السوفياتي «استيعاباً» حسب رأي جورج كينان، أو «مواجهة» حسب رونالد ريغان، أو بمزيج من الاثنين كما طالب هنري كيسنجر.

أما وقد انتهت الحرب الباردة فإن هذه السياسة باتت من شقين يرى الأول، الاقتصادي، أن العالم المعقد لا يزال معقداً وأنه لا يآتمر بأوامر واشنطن. ومن هنا التفسير «المؤامراتي» لتراجع القدرة التنافسية حيال اليابان وأوروبا. ويرى الثاني، السياسي، أن العالم المضطرب زاد اضطراباً وأن العدو الرئيسي هو ذلك «المجهول» الذي اكتشفه رئيس أركان القوات المسلحة الأمريكية كولين باول. يبقى أنه من الأفضل منع قوى اقتصادية مثل أوروبا أو اليابان من أن تصبح قوى عسكرية تنافس الولايات المتحدة وتحاول استعادة نفوذ كان لها في مطلع القرن (هنري كيسنجر)، كذلك يجب الأخذ في الحسب أن روسيا قد لا

تكون تخلت نهائياً عن أطعماها في السيطرة على جاراتها كما كان حاصلًا منذ أربعة قرون.

ما يسهل على سياسة الاعتراف بالأمر الواقع الاقتصادي يصعب على سياسة الاعتراف بالأمر الواقع العسكري. تركّز الأولى بصورة واضحة على اليابان وأوروبا، أما الثانية ولأنها تعجز عن أن ترى في كوريا الشمالية أو العراق المهزوم أو كوبا المحاصرة خطراً كبيراً يوازي الخطر السوفيياتي المندثر، فإنها تكتفي بتحديد غامض يصبح معه التهديد قادماً من مكان ما في العالم الثالث.

بدأت ادارة كلنتون تمارس مسؤولياتها، وقد اعتاد أركانها على التحولات الديمقراطية التي حصلت في أوروبا الشرقية. لقد شهد هؤلاء تحول دول كثيرة إلى الليبرالية الديمقراطية، حوالى ستين دولة ومئات الملايين من البشر. ولا بد أن تشجع هذه التطورات الجناح الليبرالي في الحزب الديمقراطي كي يعاود التركيز على سياسة الرئيس ولسون المعروفة بـ «عقيدة ولسون» والتي جرى اعتمادها بعد الانتصار الأمريكي في الحرب العالمية الأولى. سيركز «النيوويلسونيون» على دعم التغييرات الديمقراطية في العالم واحتواء الأنظمة القمعية والاستبدادية وذلك على أمل تحقيق المزيد من «الاستقرار» الضامن للموقع القيادي الأمريكي.

لذلك لن تشهد الادارة، على الأرجح، تركيزاً على الخطر العسكري المستقبلي في اليابان بل على الصين، وعلى ضرورة الضغط عليها من أجل الانفتاح والسير وراء القيادة الأمريكية ليس استراتيجياً فقط، بل عسكرياً أيضاً. ويرى المسؤولون الجدد في واشنطن أن أولوية

السياسة الخارجية في آسيا تتمحور حول الوقوف مع اليابان لاحتواء الصين والسعي إلى تغييرها وليس الوقوف مع الصين لاحتواء اليابان الساعية إلى التوسع. ولقد لوحظ أن التعيينات في وزارة الخارجية الأمريكية، وتحديدًا في القسم الذي يتعاطى الشؤون الآسيوية، إنما جاءت بمختصين في الشؤون الصينية. فمساعد وزير الخارجية لشؤون آسيا هو السفير الأمريكي الأسبق في بكين، ومساعدوه كلهم من «خبراء الصين». وفي المقابل لا خبير واحدًا في الشؤون اليابانية.

أما حيال روسيا فلن تسعى الإدارة إلى تجاهلها خوفاً من احتمال توسعها في مجالها الآسيوي والأوروبي. سيكون الخيار، هنا، دعم التغييرات الديمقراطية حتى لو أدى الأمر، كما كان يقول وزير الدفاع الحالي ليس اسبين، إلى اقتطاع مليارات من ميزانية الدفاع.

ستنفذ واشنطن الشق الأول، الاقتصادي، من سياستها عبر منظمات دولية مثل صندوق النقد والاتفاقية العامة للتعرفة الجمركية والتجارة (الغات) ومنظمة الدول الصناعية السبع، وعن طريق المفاوضات الثنائية مع اليابان والضغوطات عليها وعلى أوروبا، الخ... وترغب واشنطن في تنفيذ الشق الثاني عن طريق منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن تحديداً (كما سبق لولسون استخدام عصبة الأمم). ولكن لا يُفترض بذلك أن يمنعها من استخدام قواتها كما تشاء وبصورة انفرادية إذا تطلب الأمر.

لقد سبق لجورج بوش أن طلب من الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي رفع علم الهيئة الدولية فوق القوات الأمريكية في الصومال. علماً أنها لا تعمل تحت إشراف هيئة الأركان التابعة لمجلس الأمن.

رفض بطرس غالي الطلب لكنه اعترف لليسلي غالب، المعلق في «نيويورك تايمز» أنه لا يمكن للأمم المتحدة القيام بمبادرة عسكرية جديدة من دون مشاركة الولايات المتحدة كحد أقصى، أو دعمها كحد أدنى. ولا شك في أن ادارة كلنتون تعي جيداً أهمية دورها في المنظمة الدولية.

لا يمكن، في هذا المجال، تجاهل التأثير الذي يمثله «المحافظون الجدد» وايدولوجيا الحرب الباردة سابقاً على الادارة الجديدة التي دعموا وصولها. ويترجم هذا التأثير نفسه بالاصرار على امتلاك حق الاستخدام المنفرد للآلة العسكرية الأمريكية، وهو الأمر الذي يدعمه البنتاغون بشدة. ويوصي هذا الأخير بالتكامل مع الأمم المتحدة وليس بإسقاط حق الانفراد.

ولكن عودة إلى التيار الأول «النيولسوني» ثرينا أنه يضم بين صفوفه بعض المعروفين بالحفاصة الشديدة لإسرائيل من أمثال تشارلز كروثايمر وجوشوع مورافتشيك. يؤيد هؤلاء التدخل العسكري في العالم الثالث لفرض القيم الأمريكية، وعند الحديث عن الشرق الأوسط فإن عيون هؤلاء تتجه نحو إسرائيل ودورها في المنطقة لأن هذه تعبر عن اعتناق الديمقراطية وتحول دون «الحواجز الاجتماعية والثقافية وبينها الأصولية الإسلامية». ستضطر الإدارة الأمريكية إلى انتهاج سياسة خارجية تحاول الجمع بين التيارين المشار إليهما فتشجع الديمقراطية حيث استطاعت من غير المساس بالمصالح الحيوية وسيقودها ذلك إلى نوع من الانتقائية واختيار الأهداف.

لا يستطيع أحد أن يتخيل بقاء جميع الترتيبات العسكرية التي

تأسست في عهدي ريغان وبوش . ولكن من الخطأ الاعتقاد أن وصول رئيس جديد يعني اطلاق عملية شاملة لاعادة التخطيط والتنظيم طالما أن هذه تصطدم بالمؤسسات القائمة وتكلف فوق ما يستطيع الاقتصاد الأمريكي تحمله . إذا كان بوش لم يترك إرثاً كبيراً باستثناء الشرق الأوسط، فإن بصمات ريغان موجودة على غالبية مؤسسات الدولة من الجيش إلى البنوك إلى المحاكم (وعلى رأسها محكمة العدل العليا)، ناهيك عن تأثيره العميق في جيل كامل ترتع في عهده . ليس غريباً، والحال هذه، ان تصطدم ادارة كلنتون، منذ ساعاتها الأولى، بتضاعف العجز في الميزانية الجارية، وهو عجز هائل أصلاً قادها إلى ابتلاع وعود كانت قدمتها في الحملة . وعلى هذا المنوال، يتوقع أن تصطدم مشاريع كلنتون «التغيرية» في الجيش مع ما أصبحت عليه المؤسسة بعد العهدين الجمهوريين .

وبالطبع سيدافع الجمهوريون عن ارثهم ويفيدون من أن كلنتون فاز بفارق ضئيل في الأصوات، وسيحركون في وجهه الأصولية المسيحية المنظمة واللوبيات العسكرية وغيرها .

تقود هذه المعطيات إلى القول ان ثمة ضرورة لـ «عقيدة» جديدة للتعامل مع العالم . لقد فعل كل رئيس أمريكي ذلك بمجرد أن وجد نفسه أمام متغيرات ومعطيات مستجدة . هل تقوم ادارة كلنتون على صياغة هذه «العقيدة»؟ أم تكتفي بالشعار القائل «ان امريكا القوية أفضل أمل للعالم»؟

ينقسم المعنيون الأساسيون بالسياسة الخارجية إلى مجموعتين: تضم الأولى ليس اسبين وجيمس وولسي وآل غور وتشكل الثانية من أنتوني

ليك ووارن كريستوفر. الأوائل هم من الديمقراطيين الذين كانوا مخلصين لسياسات ريغان. وكان سبق لهم الوصول إلى مناصبهم والحفاظ على مواقعهم من خلال دعم مواقف الجمهوريين. أما ليك وكريستوفر فكانا بعيدين، إلى حد كبير، عن واشنطن. وعلى رغم أن الثاني مثل، كمحام، الكثير من الشركات والدول صاحبة المصالح المنتشرة في العالم إلا أنه لم يدعم السياسة الخارجية الريغانية. كذلك انتقد ليك سياسة ريغان في الوقت الذي امتدح كل من غور، وأسبين وولسي جوانب فيها. وفي حين يمكن وصف الثنائي كريستوفر - ليك بـ «النيو - ولسونيين» يعتبر الآخرون أن في العالم أخطاراً كبيرة يجب الاستمرار في محاربتها.

تلتقي المجموعتان تحت شعار دعم الديمقراطية في العالم الثالث بصفته أحد الشعارات الرئيسية للإدارة الجديدة. وتميل المجموعة الأولى، القوية والمدعومة بالمؤسسة العسكرية و«اللوبي اليهودي»، إلى تأييد استخدام القوة. أما الثانية، الضعيفة نسبياً، فهي من دعاة إعطاء الأولوية للحلول الدبلوماسية.

ليس سراً أن كلنتون قليل الخبرة في السياسة الخارجية ولذلك فإن مساعديه سيلعبون دوراً كبيراً في تقديم المشورة إليه تاركين له أن يبلور موقفاً متكاملًا من الآراء المعروضة عليه.

لقد نشر «معهد السياسة التقدمية» (P.P.T.) كتاباً عنوانه «وكالة من أجل التغيير» (Mandate for Change) ويتضمن هذا الكتاب الصادر غداة فوز كلنتون في الانتخابات، تفاصيل السياسة الخارجية والاقتصادية التي وردت على شكل وعود في خلال الحملة، وقد جمع

الرئاسة وسياساتها ورموزها

الكتاب وحرره ويل مارشال، رئيس المعهد، بمساعدة كاتب آخر هو مارتن شرام. وبدورها اعتبرت مجلة «تايم» وغيرها من وسائل الإعلام أن هذا الكتاب أفضل دليل للتعرف على الكيفية التي ستتحكم تحرك كلتوتون.

يضم الكتاب ١٤ فصلاً يتناول واحد منها فقط السياسة الخارجية. ومحور هذا الفصل هو ويل مارشال الذي عدد عشرة أهداف للسياسة الخارجية الأمريكية في عهد كلتوتون.

١- وضع الدبلوماسية التجارية في مركز الاستراتيجية الأمنية بعد انتهاء الحرب الباردة.

٢ - تنظيم حملة طويلة الأمد من المساعدات الاقتصادية والتقنية والسياسية لتثبيت روسيا بحزم في معسكر الاقتصاد الحر.

٣ - استعمال السياسات التجارية وأساليب أخرى لتشجيع تغييرات سياسية في الصين.

٤ - وقف المساعدات الخارجية للأنظمة المستبدة والفاصلة.

٥ - تعزيز الدعم الأمريكي للمؤسسات الديمقراطية في الخارج.

٦ - ادخال تعديلات على القوات العسكرية الأمريكية لتحويلها إلى قوات متحركة ومرنة ومناسبة لمواجهة الأخطار الإقليمية.

٧ - إعطاء التعليمات لوزير الدفاع ليعيد تقييم أدوار الجيش ومهامه.

٨ - إعادة تنظيم وكالة الاستخبارات المركزية من أجل التركيز على مهام جيدة.

٩ - تحديث قرار «سلطات الحرب» لإعادة التوازن بين السلطتين التنفيذية والتشريعية .

١٠ - تقوية الأمم المتحدة والمؤسسات الأخرى ذات العلاقة بالأمن الجماعي .

ويدعو الكتاب، أيضاً، إلى تشكيل قوة تابعة للأمم المتحدة تكون مهمتها تطبيق قرارات مجلس الأمن، كما يؤكد على أن أي سياسة خارجية لا تصب في المصلحة الاقتصادية لن تحصل على تأييد شعبي .

### السياسة الاقتصادية

ان تأسيس «مجلس الأمن الاقتصادي» في موازاة «مجلس الأمن القومي» دليل على مدى التداخل بين الاقتصادين العالمي والأمريكي، وعلى أن واشنطن عازمة على بلورة سياستين واحدة اقتصادية والثانية سياسية - عسكرية تساعد في تطبيق الأولى. على الصعيد الداخلي تنوي الادارة التركيز على الاستثمار في رفع مستوى الانتاج الأمريكي وتنويعه وتدريب العمال وتحسين أدائهم وتطوير البنية الانتاجية والتحتية وسيأسس على النجاح في هذا المجال الإصرار على تحرير الاقتصاد العالمي من القيود.

اقترح كلنتون في حملته الانفاق الحكومي على تطوير القاعدة العمالية، وجاء في وثيقة صادرة عن الحملة عنوانها «لنضع الشعب أولاً» (Putting People First) ان المطلوب صرف ٩, ٤١ مليار دولار على البنية التحتية للاقتصاد الأمريكي بما في ذلك التدريب المهني. وحتى في حال تنفيذ هذه الوعود فإنها تبقى قاصرة عما فعلته الدول

الصناعية المتقدمة في هذا المجال. فللوصول إلى مستوى المانيا يجب على الادارة الجديدة انفاق ٢٠٠ مليار دولار سنوياً، و٣٠٠ مليار إذا شاعت الارتفاع إلى المستوى الياباني وحتى ١٠٠ مليار إذا أرادت محاكاة بريطانيا. وفي غمرة المناوشات التي اندلعت غداة فوز كلنتون حول حجم المبالغ المطلوب تخصيصها، أصدر «معهد السياسة الاقتصادية» (روبرت رايش هو أحد مؤسسيه) تقريراً يوحي بصرف ٦٠ مليار دولار، ٥٠ منها على البنية التحتية و١٠ لتغطية تخفيض الضرائب على استثمار الشركات.

يقول التقرير ان مثل هذه السياسة يسعها أن تخفض البطالة من ٧,٢ في المئة إلى ٥,٧ وترفع نسبة النمو في الناتج القومي من ٢ إلى ٣ في المئة.

قدمت أطراف أخرى أرقاماً أخرى. ولكن عندما تبين أن العجز في ميزان المدفوعات هو أكبر من المتوقع اعتبر المدافعون عن الشركات أن تخفيض ضرائب الطبقة الوسطى غير ممكن. وان اقتراحات «معهد السياسة الاقتصادية» صعبة التطبيق.

كان من المفروض أن تدعو سياسة كلنتون إلى التجارة الحرة وأن تساعد الاقتصاد الأمريكي على استعادة قدرته التنافسية. لكن العجز التجاري والاصرار البارز على موازنة المصروف والمدخول يجعلان التدخل الحكومي أكثر صعوبة وأقل مما وعد به في خلال الحملة. سيصّر وزراء على ضرورة الحصول على الأموال اللازمة للانفاق في مجال البنية التحتية من خلال التوفير في برامج اجتماعية. ومن الطبيعي أن يرافق ذلك ضغط على حكومات البلدان المنافسة من أجل الامتثال

لمنهجية الاقتصاد الأمريكي في التسعير والتسويق، كما أن من الطبيعي أن ترد الحكومات المعنية بالتلويح بمواجهة اقتصادية واسعة.

لقد عبر اليابانيون عن ارتياحهم، أو عدم انزعاجهم على الأقل، من تعيين لورا تايسون، التي تؤيد التجارة الحرة. لأنهم يدركون أن منصبها ليس طليعياً في السياسة الاقتصادية الدولية. كذلك فإن لوزارة العمل التي تسلّمها روبرت رايش القليل مما تقوله في مجال العلاقات مع اليابان وأوروبا والكثير مما تقوله في ما يتعلق بمعاهدة التجارة الحرة مع كندا والمكسيك. وينظر اليابانيون بارتياح إلى رون براون وزير التجارة، وميكي كانتور المبعوث التجاري الخاص لأنها دعاة «التجارة الحرة»، كما أنهم يرون في وزير المالية لويد بنستين «شخصاً معتدلاً».

يملك لويد بنستين أفكاراً اقتصادية لا تتماشى بالضرورة مع الشعارات التي طرحها كلنتون في الحملة الانتخابية. فهل هناك مجال لحل وسط بين الاثنين؟ نعم من غير شك. فالشعارات الانتخابية أكثر دعوة إلى التغيير من أفكار كلنتون ومستشاريه الفعلية. هذا من جهة. ومن جهة ثانية، إن أفكار بنستين اليمينية هي، في الواقع، وسطية إذا ما قيست بالمواقف المتطرفة لريغان ثم لبوش. ثم ان وزير المالية الجديد يملك «سوابق» في مجال تأييد الانفاق على التدريب المهني ورفع المستى العلمي للطبقة العاملة الأمريكية. إذاً لا مشكلة لدى بنستين في التعاطي مع ادارة تضع في مقدمة أولوياتها دعم القطاعات الصناعية والسعي إلى تخفيض الضرائب عن الطبقة الوسطى. لقد كان الأمر مصيبة لو أن لويد بنستين عين وزيراً للخارجية وهو الذي سبق له أن دعا إلى ضرب كوريا بالصواريخ النووية عندما كان سناتوراً شاباً.

الرئاسة وسياساتها ورموزها

ولكن بما أنه عضو في مجلس الأمن القومي، حيث تصاغ السياسة الخارجية فإننا، أمام نصف مصيبة فقط.

رتب كلنتون التعيينات بحيث تبقى الكلمة الأخيرة له. ولن يخلو الأمر من صعوبة نتيجة التضارب بين مؤيدي التجارة الحرة ومؤيدي الحماية أو بين دعاة التوظيف في الصناعة ودعاة حماية البيئة.

لن تكون الصدمات في الإدارة وليدة الاختلاف في المواقف الايديولوجية والاقتصادية فحسب. ستتدخل الأمور الشخصية. فبنستين وبانيتا وبراون واسبين كانوا إلى حين تسلمهم حقائبهم مسؤولين عن لجانهم البرلمانية (براون رئيس الحزب) وأصحاب قرار. وليس مستبعداً أن يرفض الواحد منهم التجاوب مع طلبات الآخر. إلى ذلك فإن رويين والتبان وكانتور وكريستوفر من أهم وجوه القطاع الخاص، ومن جهة أخرى فإن رايش وتايسون وشلالا وريفلين من نجوم «الأكاديميا» في الاقتصاد والاجتماع. وما نجح فيه كلنتون في حملته الانتخابية من تنسيق بين متعارضين قولاً قد ينجح فيه عند ممارسته الرئاسة، لكن ليس معروفاً في أي اتجاه ستلعب شخصيته المسيرة: في تخفيف التوترات أم في التعايش معها.

لقد كان تشدد الديمقراطيين في القضايا العسكرية، أيام الحملة الانتخابية، مقصوداً لمخاطبة المقترعين. وقد أدى ذلك بلي هاملتون رئيس لجنة الشرق الأوسط في الكونغرس إلى القول ان كلنتون يدرك أهمية الجيش القوي والأسواق المفتوحة، وأن سياسته ستكون مبنية على مبادئ السياسة الخارجية الأساسية منذ الحرب العالمية الثانية. أضاف هاملتون: «سيجد كلنتون التوازن الأفضل بين السياستين الخارجية

والمحلية». أما كلنتون فإنه ردد غير مرة أن «الولايات المتحدة لن تستطيع قيادة العالم الذي بنته ما لم تكن قوية في الداخل».

يمكن تحديد هدفين أساسيين لإدارة كلنتون على الصعيد الاستراتيجي والعسكري. الأول هو إعادة بناء القوات الأمريكية في ظل تغيير التحديات الدولية وهذه مهمة وزير الدفاع ليس اسبين ومدير وكالة الاستخبارات المركزية جيمس وولسي. والثاني الاهتمام بقضايا التغيير الديمقراطي والبيئة والمخدرات وما إليها مما يعني الاضطرار إلى التدخل المسلح. وهذا الملف من اختصاص وارن كريستوفر وانتوني ليك.

من هنا وافق كلنتون على تخفيض القوات الأمريكية في أوروبا إلى أقل من ١٥٠ ألف جندي كما اقترح بوش، وذلك بناء على مواقف اسبين وولسي. وفي المقابل أكد كلنتون، استناداً إلى آراء ليك وكريستوفر، نية الإدارة الجديدة استخدام الأمم المتحدة قدر المستطاع لتنفيذ السياسة الأمريكية تحت مظلة دولية. وفي سياق ذلك يؤكد الرئيس الجديد أنه «يجب عدم نسيان الحقيقة المهمة القائلة ان القوة هي أساس الدبلوماسية الناجحة».

جاءت التعيينات في المجال الاقتصادي معبرة عن التيار النيو-ليبرالي. أما في ما يخص السياسة الخارجية - العسكرية فالأمر مختلف، فالإشارات كثيرة إلى أن الحملة الرئاسية لم تول السياسة الخارجية الاهتمام الكافي ولم تضعها في مقدمة اهتماماتها. وعدا شعارات من نوع «دعم الديمقراطية» والوقوف إلى جانب إسرائيل والتدخل في البوسنة، غلب الجانب الداخلي على ما عداه حتى في مجال تناول القضايا الخارجية. الحديث عن إعادة تركيب الجيش بعد الحرب الباردة،

مثلاً، تناول نوعية الأسلحة وحجم الخفض في الميزانية. وربما ساعد في تعزيز هذا الاتجاه عدم وجود خطر محدد يوفر عنصر التماسك لسياسة خارجية. «المجهول» الذي تحدث عنه كولين باول لا يكفي.

وبما أن الغموض النسبي يحيط بطبيعة التوجهات في مجال هذه السياسة، فإن المدخل الوحيد لالتقاط مؤشرات ذات معنى عنها هو التعرف على الأشخاص الذين سيلعبون الدور الأكبر في تحديدها وعلى ماضيهم السياسي وتجاربهم ومواقفهم وهي قضايا ستكون حاضرة بقوة عند تقديمهم مشورةً ما إلى الرئيس الجديد.

### وارن كريستوفر

بعد انجائه ثلاث سنوات من الخدمة العسكرية في العام ١٩٤٦ دخل كريستوفر إلى جامعة ستانفورد لدراسة المحاماة وانتخب فيها رئيساً للجنة المراجعة القانونية قبل تخرجه في العام ١٩٤٩. إلا أن دخوله معترك «السياسة العام» تأخر عشرة أعوام، أي إلى العام ١٩٥٩، عندما أصبح مستشاراً خاصاً لحاكم ولاية كاليفورنيا آدمون براون، وذلك بعد فترة أمضاها عاملاً ثم شريكاً في ملكية وإدارة واحدة من أهم شركات المحاماة الأمريكية.

بعد ذلك، انتخب في «مجلس الثقافة العليا» لولاية كاليفورنيا (بين عامي ٦٣ و٦٧) ثم عين نائباً لرئيس لجنة خاصة تضم ثمانية أشخاص دعا إلى تأسيسها حاكم الولاية براون وكلفها التحقيق في حوادث «واتس» العنصرية في مدينة لوس انجلوس، وإلى ذلك عمل مفاوضاً تجارياً ومستشاراً لمساعد وزير الخارجية في العام ١٩٦١ للشؤون الاقتصادية الدولية وعمل في العام نفسه على إيجاد صيغة دولية مشتركة

في ما يتعلق بتجارة الأقمشة وترأس الوفد الأمريكي المفاوض مع اليابانيين في شأن القطن. وتلا ذلك انتدابه كموفدٍ خاص لوزير الخارجية في مفاوضات الصوف في لندن وروما وطوكيو خلال عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥.

بعد اندلاع تظاهرات ديترويت في آب (أغسطس) عام ١٩٦٧ انتدبه الرئيس ليندون جونسون ومعه نائب وزير الدفاع آنذاك سايروس فانس إلى المدينة. ثم عينه بعد ذلك بأشهر معدودة مسؤولاً عن لجنة الجهود المشتركة بين الجيش والقوات المحلية في شيكاغو بعد مقتل مارتن لوثر كينغ واندلاع تظاهرات نيسان (ابريل) عام ١٩٦٨.

ومع ان جونسون كان دعاه في العام ١٩٦٧ ليعمل نائباً للمدعي العام الأمريكي، فإن خلفه الرئيس ريتشارد نيكسون استغنى عن خدماته فعاد إلى مهنته كمحامٍ. وكادت فضيحة ووترغيت أن تعيده إلى الادارة مرة أخرى عندما عرض عليه الرئيس أن يكون المدعي الخاص، فرفض العرض وذهب المنصب إلى ارتشبولد كوكس. الا أنه عاد مرة أخرى في مطلع عهد الرئيس جيرالد فورد ليترأس اللجنة القانونية الخاصة بمراجعة ملفات المرشحين لمنصب حاكم محكمة العدل العليا.

وفي الثالث عشر من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٧٦ أعلن الرئيس جيمي كارتر تعيين كريستوفر نائباً لوزير الخارجية سايروس فانس الذي كان سبق وعمل معه مراراً وخصوصاً في التحقيق بحوادث ديترويت في العام ١٩٦٧. إلا أن تعيينه واجه معارضة حادة من قبل اثنين من غلاة المؤيدين لإسرائيل وهما المعلق في صحيفة «نيويورك

الرئاسة وسياساتها ورموزها

تايمز» وليم سافاير والسناتور اليهودي جاكوب جافيتش، وذلك باتهامه بأنه سمح بمراقبة عسكرية لمواطنين أمريكيين داخل الولايات المتحدة أثناء عمله نائباً للمدعي العام، إلا أن ذلك لم يحل دون اقرار تعيينه في منصبه الجديد من قبل الكونغرس في الرابع والعشرين من شباط (فبراير) عام ١٩٧٧.

ولربما كان كريستوفر أول من وضع قضية حقوق الإنسان في سياق العلاقة الخارجية الرسمية. وهو أكد ذلك في التاسع من آب (اغسطس) ١٩٧٧ علناً عندما قال في خطاب له أمام «منظمة المحامين الأمريكيين» «أن مبادئنا وقيمنا يجب أن تنعكس في سياستنا الخارجية كي نحصل على تأييد الشعب (الأمريكي) لها وكي تكون فعّالة». ثم قال في خطاب آخر له أمام المنظمة ذاتها في الثالث عشر من شباط (فبراير) عام ١٩٧٨ (ان الأمور الأهم والأكثر مدعاة للقلق هي حق الإنسان في أن يكون متحصناً أمام خرق الحكومة لاستقلاله وحاجاته الأساسية من الطعام والملجأ والمعالجة الصحية والتعليم والحقوق المدنية والسياسية».

على هذه الخلفية، حاول أن يجمع بين الدبلوماسية الهادئة والمبادرات الرمزية والتصريحات العلنية والمغالطات الاقتصادية لفرض سياسة حقوق الإنسان على الدول التي تحرقها. وأثار، بصورة خاصة، أزمة كمبوديا في العام ١٩٧٨ حين «قتل الخمير الحمر مئات الآلاف من الكمبوديين»، كما أيد في العام نفسه وقف الدعم الأمريكي لرئيس نيكاراغوا أنستو سوميوزا.

وبعد أشهر معدودة على تسلمه منصبه، بدأ النظر إلى كريستوفر على

أنه «حلّال مشاكل وأزمات» ادارة الرئيس كارتر. فهو مثلاً كان أساسياً ولا غنى عنه في اقناع الرأي العام الأمريكي والكونغرس واللوبيات الخاصة بأهمية اتفاقات بنما. وأقنع تركيا بالتراجع عن تهديدها بترك الحلف الأطلسي بسبب امتعاضها الشديد من الموقف الأمريكي حيال تدخلها في قبرص، بعد أن وعد رئيس الحكومة التركي بولاند اجاويد بوقف المقاطعة الأمريكية لتركيا. وعندما نشبت الأزمة بين تايوان والولايات المتحدة نتيجة اعتراف الأخيرة بالصين الشعبية استطاع بدبلوماسية «خطيرة» إيجاد صيغة توفيقية للحل بين الطرفين، على رغم تعرضه للتهديد شخصياً من قبل متظاهرين تايوانيين هاجموا سيارته في تايبيه.

في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٧٩ أصبح كريستوفر المعلن الرسمي الأول للموقف الأمريكي من الاحتلال السوفياتي لأفغانستان، وهو كان أول من أعلن مقاطعة الولايات المتحدة دورة الألعاب الأولمبية في موسكو في العام ١٩٨٠.

وزار في شباط (فبراير) من العام نفسه إسلام آباد وبحث مع الحكومة الباكستانية والرئيس محمد ضياء الحق في سبل مواجهة الموقف والتصدي له، كما تحدث في آذار (مارس) مطولاً عن «خرق القوانين الدولية في أفغانستان، خصوصاً قتل السجناء السياسيين».

وكانت أزمة الرهائن الأمريكيين في طهران مفصلاً أساسياً في حياته السياسية العامة، إذ انه وافق على الخطة العسكرية التي وضعت لتحرير الرهائن ظناً منه أن الوزير فانس وافق عليها بدوره قبل مغادرته في اجازة، إلا أنه تبين لاحقاً، أن الوزير لم يكن يعلم بها واستقال من

منصبه احتجاجاً على ذلك في الخامس والعشرين من نيسان (ابريل) عام ١٩٨٠. وكان كريستوفر يعتقد مثل الكثيرين ان منصب الوزير سيُعهد إليه تلقائياً، إلا أنه ووجه بمعارضة شديدة كانت محاور حاملها تقول «انه تكتيكي ودبلوماسي ومنفذ أكثر منه مبلوراً ومبادراً».

وافق كارتر تبعاً لذلك، ولأنه كان يرتاح إلى دعم الكونغرس بعد فشل المحاولة العسكرية لانقاذ الرهائن، على تعيين ادموند موسكي وزيراً جديداً للخارجية، إلا أنه أصر على ابقاء كريستوفر في منصبه، فبدأ هذا، عملياً، في مواجهة أزمة الرهائن من دون صديقه ومسؤوله فانس، وهي على أي حال فترة لم تكن طويلة إذ أعقبتها الانتخابات الرئاسية في مطلع تشرين الثاني (نوفمبر) وفوز الجمهوريين برئاسة رونالد ريغان وبالتالي انتهاء الأزمة.

لكن قبل ذلك، قيّض لنائب وزير الخارجية أن يكون الموجه المباشر لسياسة بلاده في أخطر أزمة واجهتها إدارة كارتر على الاطلاق، إذ انه خرج في مطلع أيلول (سبتمبر) من مكتبه إلى الحقل التفاوضي المباشر مع الايرانيين. وهكذا اجتمع في السادس عشر والثامن عشر منه مع صادق طباطبائي، قنصل بلاده الذي سبق أن كان في بون، بعد أن أبلغ الايرانيون إلى المسؤولين الألمان الغربيين رغبتهم في التفاوض مع واشنطن لانهاء الأزمة استناداً إلى أربعة شروط هي: ارجاع ثروة الشاه إلى ايران، الغاء الاتهامات الأمريكية لايران، ضمان عدم تدخل واشنطن في ايران، وتحرير الاستثمارات والأرصدة الايرانية المجمدة في الولايات المتحدة. إلا أن بدء الحرب العراقية - الايرانية في الثاني والعشرين من الشهر نفسه جمد هذه الاتصالات التي كان نائب الوزير الأمريكي رئيساً للجنة الخاصة بها، والتي قادها استناداً إلى «نظرية»

مفادها «التأكيد على ما هو مشترك في المصالح وليس الاختلاف فيها».

بعد تسلم ريغان الرئاسة عاد كريستوفر إلى كاليفورنيا لإدارة شركة الحمامة «أوملفيني أند ميرز» وقاد في نيسان (ابريل) عملية التفاوض بين «شركة أنابيب الغاز الأمريكية» و«شركة غاز كولومبيا» و«شركة المصادر الطبيعية الجنوبية» و«شركة بترول الجزائر» (سونترا) ممثلاً الجانب الأمريكي، ثم أصبح رئيساً للشركة التي تضم اليوم نحو ٥٠٠ حمام، واحتل موقعاً مهماً في صفوف الحزب الديمقراطي.

«حادثة رودني كينغ» التي برزت بعد تبرئة مجموعة من رجال الشرطة في لوس انجلوس ضربوا سائقاً أسود اللون، وما أدت إليه من تظاهرات واضطرابات دموية في مختلف أنحاء كاليفورنيا وعدد من الولايات الأخرى، أعادت كريستوفر إلى الواجهة المحلية. لقد عين أولاً رئيساً للجنة تحقيق خاصة بالقضية وأسبابها وملابساتها، ثم رئيساً للجنة خاصة أخرى حملت اسمه وأوصت بتغييرات جذرية في جهاز الشرطة في المدينة.

بعد ذلك قيض لكريستوفر أن يتبوأ أهم المناصب في حملة الديمقراطيين للانتخابات الرئاسية الأخيرة. فهو أولاً عمل كواحد من مدراء حملة بيل كلنتون وكان وراء اختيار آل غور للسباق على منصب نائب الرئيس، ثم عين إلى جانب هاملتون جوردان مسؤولاً عن إدارة الفريق الانتقالي المسؤول عن نقل السلطة من الجمهوريين إلى الديمقراطيين، واختيار شخصيات هذا الفريق من بين الألوف من المرشحين. وهكذا كان أقرب الناس إلى الرئيس الجديد وبرز ذلك على التوالي عبر تسلمه أهم منصب في الحملة الانتخابية، وأهم منصب في

الفترة الانتقالية، ثم أهم منصب في الإدارة بعد التسلم والتسليم .

على أي حال، وبعد تعيينه وزيراً للخارجية، أكد كريستوفر على أهمية توظيف قوة الاقتصاد الأمريكي في السياسة الخارجية معتبراً أن المجالين «ينطلقان بشكل متواز وليس متتالياً»، ومشيراً إلى أن واشنطن ستستمر في اتخاذ المبادرات البناءة مثل تلك التي قامت بها إدارة الرئيس جورج بوش في الصومال وفي عملية السلام الخاصة بالشرق الأوسط .

وتحدث الوزير كريستوفر عن قضايا أخرى مثل أسلحة الدمار الشامل وخطورتها مستخدماً مصطلحات كانت الإدارة السابقة للجمهوريين قد روجتها، إلا أنه أكد في الوقت ذاته أهمية اعتماد تفكير جديد وجريء في ضوء التطورات الدولية الحاصلة، وخصوصاً بعد انهيار «المعسكر الاشتراكي» .

وسيستفيد كريستوفر حتماً، من قلة خبرة رئيسه كلنتون في السياسة الخارجية ليحاول لعب الدور الطبيعي في هذا المجال مستنداً إلى سجله الحافل بالمفاوضات على المستويين التجاري - الاقتصادي والسياسي، على رغم أنه عمل دائماً ضمن اطار ايديولوجي وسياسي وضعه آخرون، خصوصاً خلال فترة رئاستي جونسون وكارتر .

وفي مقال كتب عنه في صحيفة «ديلي نيوز» مرّ هذا الوصف: «ان كريستوفر متكتم إلى حد أنه لا يخبر حتى زوجته بأي معلومات يملكها، مهما كانت غير مهمة أو طارئة». وعلى سبيل المثال برز ذلك بصورة واضحة، قبل تعيينه في منصبه الأخير، إذ قال انه سيعود إلى كاليفورنيا بعد انتهاء الفترة الانتقالية بين الرئاستين الجمهورية والديمقراطية، ولم يقدم أي تلميح أو إشارة إلى احتمال تعيينه وزيراً للخارجية، كما أن

خبر هذا التعيين لم يسرّب إلى وسائل الاعلام ولم يعرف إلا في اليوم السابق فقط على اعلان كلنتون ذلك .

صفة «الحفاظ على سره» تضاف إلى صفات أخرى فتعطي الانطباع الآتي: شدة، أدب، مواجهة وثقة بالنفس . واليها يعطي الرجل شكله الخارجي الكثير. فهو يفضل البدلات الأنيقة جداً و«الرسمية» جداً، ويؤكد لأصدقائه ومعارفه على أهمية الرؤية الهادئة وردة الفعل الرزينة مهما كانت الظروف . ويردد بعض معارفه مقولته الدائمة «لا تغضب إلا عن قصد»، فيما يشير البعض الآخر تبعاً لذلك، إلى «أن كريستوفر كان دبلوماسياً منذ وجوده في المهدي» .

### آل (البرت) غور

يعتبر بعض المراقبين السياسيين أن آل غور هو الذي رجح كفة الديمقراطيين في الانتخابات الرئاسية، خصوصاً في الأسابيع الأخيرة للحملة وبعد مواجهته التلفزيونية لمنافسه نائب الرئيس دان كويل .

ومن بين أبرز المسائل التي ميزت هذا السياسي الشاب، (غير موضوع حماية البيئة) دفاعه العنيد عن اسرائيل والصهيونية . فقد تبنى الكثير من المشاريع المعادية للعرب وصوّت في الكونغرس إلى جانب جميع القرارات التي تدعم اسرائيل في شتى المجالات، ومن أهمها القرار الذي صدر في الحادي عشر من حزيران (يونيو) عام ١٩٩٠ باعتبار «القدس عاصمة أبدية لإسرائيل»، وقرار وقف التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية المتخذ في الحادي والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٨٩، والقرار الذي طالب الأمم المتحدة بالغاء قرارها الرقم ٣٣٧٩ والذي يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال

العنصرية. كما وقع على رسائل عدة موجهة إلى الادارة، ومنها تلك التي طلبت رفض منح رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة للتحدث أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، واعترض في رسالة أخرى على اجتماع وزير الخارجية جورج شولتز مع الأمريكيين من أصل فلسطيني البروفسور إدوارد سعيد وابراهيم أبو لغد.

ويبدو من مراجعة سجل غور في الكونغرس أنه كان حريصاً على إبراز آرائه على الشكل الآتي: محافظ على المستوى الأمني الاستراتيجي، معتدل على المستوى السياسي، وليبرالي على المستوى الاجتماعي. وكل ذلك مغلف بصبغة من التدين والقيم العائلية.

والواضح أن هذا النمط من السياسيين سيستمر في المحافظة على موقعه في قلب الحزب الديمقراطي والحياة السياسية في واشنطن من دون تغييرات كبيرة ومفاجئة. وجوهر سياسة هذا النمط (وفريق كلنتون منه) الاستمرار في الاعتماد على البيروقراطية الواشنطنوية مع أن شعاراته المعلنة تضح بالدعوة إلى التغيير.

وليس من المستغرب أن يلعب غور دوراً ما في صنع السياسة الخارجية لبلاده، من موقعه كنائب للرئيس، على رغم أن هذا المنصب كما عهدناه مع دان كويل في السنوات الأربع الماضية، وربما مع بوش قبله، لم يكن يخول صاحبه لعب دور مركزي مؤثر في عملية صنع القرار، خصوصاً على الصعيد الخارجي (مع بعض الاستثناءات عند بوش).

ولكن هناك وجهاً آخر للمعادلة، إذ يعرف كل من تابع عمل

الادارات المختلفة في البيت الأبيض أن نائب الرئيس الديمقراطي يلعب عادة دوراً أكبر مما يلعبه نائب الرئيس الجمهوري . ويُعتقد على نطاق واسع أن فعالية غور ستعكس عملياً في مجلس الأمن القومي أكثر منها في أي مجال آخر.

### ليس آسبين

يمكن القول ان مواقف آسبين في العامين ١٩٨٢ و ١٩٨٣ كانت مهمة بالنسبة إلى مستقبله في الكونغرس والحياة السياسية العامة، إذ انه اعتمد دائماً الموقف المائل نحو اليمين مما أدى إلى تأييد الكثيرين من أقطاب هذا الصف له وكانوا من الحزبين الجمهوري والديمقراطي، خصوصاً في رئاسته للجنة القوات المسلحة في مجلس النواب بعد عزل رئيسها ميلفين برايس. ردّ هو على هذه التحية بأن أبقى على الجمهوريين ومسؤولي اللجان الفرعية في مناصبهم داخل اللجنة ثم أخذ يستدعي العديد من مسؤولي البنتاغون المؤيدين لموازنات كبيرة للدلاء بشهاداتهم أمام اللجنة.

وشكلت رئاسة هذه اللجنة في العام ١٩٨٥ منعطفاً آخر في حياته السياسية، إذ انه على رغم استمراره في مطالبة البنتاغون بتخفيض الموازنات المخصصة لبعض المشاريع، بدأ يقود تفكيراً ديمقراطياً جديداً على المستوى الاستراتيجي - العسكري يشبه إلى حد كبير تفكير سام نان. فكان مثلاً مع اتحاد الديمقراطيين مواقف معينة في قضايا عسكرية كان سبق لهم أن رفضوها تلقائياً رداً على مواقف الجمهوريين المؤيدة لها.

وأيد آسبين في خطاب له أمام «مركز الدراسات الاستراتيجية

والدولية» في جامعة جورج تاون في الثلاثين من أيار (مايو) عام ١٩٨٥ موافقة الكونغرس على موازنة برنامج حرب النجوم «لإعطاء العلماء فرصة تحقيق حلمهم في المبادرة الدفاعية الاستراتيجية (S.D.I.)»، كما أيد إعطاء الفرق المفاوضة للسوفييات في جنيف «فرصة، ولكن مع الحفاظ على تطوير قوة الردع الأمريكية».

لقد أيد آسبين «زيادة حذرة في موازنة حرب النجوم» وأشار إلى أهمية الصاروخ النووي المتحرك (ميدجيت مان) في حال فشل برنامج المبادرة الدفاعية الاستراتيجية (S.D.I.). وعلى رغم ذلك، فإن مقربين منه يقولون انه حارب ادارة الرئيس ريغان لخفض الموازنة المخصصة لهذه الأسلحة والبرامج، وكان يحاول دائماً الضغط على الادارة «للتوصل إلى اتفاق مع موسكو على الحد من انتشار الأسلحة».

لكن بغض النظر عن الزاوية التي يُنظر منها إلى هذا التطور، فإن الديمقراطيين تحت رئاسة آسبين في لجنة القوات المسلحة، مالوا نحو اليمين ونحو معادلات ريغانية في التسليح. وهناك من يدعي أنه عمل أحسن ما يمكن عمله في الكونغرس خلال الضعف الذي انتابه في مواجهة الادارة، خصوصاً في أواخر الثمانينات. وفي نهاية المطاف يسجل له تأييده صرف موازنة قيمتها ٣٢٠ مليار دولار للتسلح تُعتبر خرافية إذا ما قورنت بموازنات التسليح عند السوفييات والصينيين.

على صعيد آخر، أخذ آسبين يعيد تفسير مواقفه (أو يوضحها) من التدخل الأمريكي في فيتنام. فقال، مثلاً، ان الدرس الذي يجب استخلاصه من هذه التجربة هو «الحذر وليس التوقع»، وأنه يجب التأكد من أن «العملية تستحق القيام بها قبل اتمامها». وأيد بناءً على

«أفكاره الجديدة» هذه اعطاء مساعدات لحكومة السلفادور و«الكونترا» في نيكاراغوا وهو ما اعتبر أهم تحد للديمقراطيين وزعزع رئاستهم (رئاسته) للجنة التسلح .

وفي العام ١٩٩١ أيد استخدام مليار دولار من موازنة الدفاع الجديدة، لتقديم مساعدات إنسانية لجمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق . وكتب في الآونة الأخيرة مقالات ودراسات كثيرة في شأن كيفية التعامل مع جميع التحديات العسكرية التي تواجه الولايات المتحدة بما في ذلك حجم الموازنة الجديدة .

ويذهب البعض إلى القول ان تلك الدراسات والآراء كانت جزءاً من عملية تحضير نفسه لمنصب وزير الدفاع، خصوصاً انه وضع فيها فهمه الأخير لكيفية التعامل مع المؤسسة العسكرية ولكيفية تغييرها .

ومن دون أدنى شك، فإن كلنتون بنى برنامجه الدفاعي أصلاً على تحليلات آسبين ودراساته، خصوصاً في شأن الوجود العسكري الأمريكي «الضروري» في أوروبا والموازنات العسكرية عموماً .

## جيمس وولسي

حصل وولسي على شهادة المحاماة من جامعة بيل في كونيتيكت في العام ١٩٦٨ . وخدم بعدها على مدى اثنين وعشرين عاماً في أربع ادارات متعاقبة بدءاً بإدارة الرئيس ريتشارد نيكسون، إذ عمل بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٠ محلاً في مجلس الأمن القومي ولاحقاً كعضو في الوفد الأمريكي إلى مفاوضات «سالت» (S.A.L.T.) في فيينا وهلسنكي وبعدها كنائب لوزير البحرية في عهد كارتر بين العامين

١٩٧٧ و١٩٧٩. وهناك بدأ يشارك في عمليات الاستخبارات البحرية، وكان حسب آراء بعض المقربين منه، «يلاحق كل صغيرة وكبيرة». ومنذ ذلك الوقت عُرف بدقته ومواظبته «فهو عندما يبدأ عملاً يجب أن ينهيه».

في العام ١٩٨٣ عينه الرئيس الأسبق رونالد ريغان مندوباً عنه في محادثات خفض الأسلحة الاستراتيجية الأمريكية - السوفياتية، ثم أصبح مساعداً رئيسياً لمستشار الأمن القومي في البيت الأبيض برانت سكوكروفت، خصوصاً في إدارة اللجنة التي عيّنت الطريق أمام بناء الصواريخ النووية «أم. أكس» وتطوير الصواريخ النووية المتحركة ميدجيت مان. وكانت هذه التجربة كافية لتؤكد أنه ليس معتدلاً في السياسة الخارجية وأن منطلقاته في معاداة السوفيات تعدت البراغماتية ووصلت إلى ذروة «الفضاء الايديولوجي».

بين عامي ١٩٨٩ و١٩٩١ تسلم وولسي منصب سفير الولايات المتحدة وممثلها في المفاوضات على معاهدة «الأسلحة التقليدية في أوروبا» (C.F.E.)، ويقول جاك ميندلسون مدير «رابطة الحد من الأسلحة» شبه الرسمية، أن وولسي «عزز تحصيله الدبلوماسي في هذه المفاوضات على أفضل وجه».

ويبدو من سجله، الذي يعرف عنه القليل، أنه كان منذ خدمته في مجلس الأمن القومي بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٠ متخصصاً في قضايا الاستخبارات، عسكرية كانت أم سياسية و«نووية أم تقليدية».

ومن بين الوظائف الأخرى التي شغلها كمحام عمله في مكتب شيا وغاردنر في واشنطن، ولفترة وجيزة في مكتب المحاماة التابع لكريستوفر

في لوس انجلوس، وعضوية معهد العلاقة الخارجية ورابطة المحامين. وكان حتى تعيينه في منصبه الجديد، مستشاراً لمعهد الدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة جورج تاون، كما اشترك في عضوية لجان عدة منها «اللجنة الرئاسية» لمراجعة السلوك العام والقوانين في الحكومة الفدرالية عام ١٩٨٩ واللجنة الرئاسية لمراجعة الأداء في ادارة البنتاغون بين عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦.

ويختلف الخبراء في النظر إلى تفكير وولسي ومبادرته حيال مستقبل وكالة الاستخبارات الأمريكية عموماً، إذ عندما أعلن الرئيس كلنتون في الثاني والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٩٢ تعيينه في منصبه، قال عنه انه «معتدل» ومقبول من الحزبين الديمقراطي والجمهوري، وأكد أن وكالة الاستخبارات «يجب أن تحضر نفسها للتحديات الجديدة». وتوقع أن يخدم «تحليل وولسي ومقدرته وصدقه الوكالة جيداً، خصوصاً في عملية تزويد الادارة بالمعلومات الدقيقة والكاملة وغير المتأثرة بالمفاهيم السياسية».

وعلاوة على اعتبار وولسي مقرباً من الديمقراطيين والجمهوريين على السواء، فهو ابن مؤسسة الاستخبارات التي ترعرع فيها، ويملك بعض الأفكار عن تغيير عبر عن ضرورته مراراً. كما أن له من الاحترام والخبرة ما يمكنه من جمع نقيضين مفترضين: الأول الاستمرار في ما بدأته الادارة السابقة للوكالة من دون انقطاع، والثاني تهيئة الأجواء للتغيير الذي تطالب به ادارة كلنتون.

وعن الشق الثاني لهذه المحاولة يقول أحد مسؤولي الوكالة السابقين جورج كارفير أن وولسي ينظر إلى التغيير «من خلال عيون العاملين في

الوكالة أولاً». ويعلن مسؤول آخر أنه انسان قادر وسيغير في الوكالة «لكنه لن يكسر أية صحون»، بمعنى أنه لن يفتعل أي مفاجآت ولن يدعو إلى تغيير جذري قد يؤدي إلى اضطراب في صفوف الوكالة أو بين الوكالة والبيت الأبيض.

لقد سبق لكلتون أن تعرف على وولسي قبل نحو العام واستعمل نصائحه في حملته الانتخابية وأضافها إلى ما سبق وحصل عليه من ماكيردي ونان وآسبين، إلا أن قرار تعيينه في منصبه جاء لاحقاً، والشائع أن ذلك عائد إلى أن وجوده في وكالة الاستخبارات سيكمل وجود آسبين في البنتاغون. كما أن بقاء ماكيردي في الكونغرس (علماً أنه عزل لاحقاً)، وبورين في مجلس الشيوخ (وكلاهما قوي جداً في لجنته) سيسهل صوغ معادلة جديدة للعلاقة بين الاستخبارات والجيش والبنتاغون. إضافة إلى ذلك، فإن تعيين الأدميرال وليم كراو (الذي عارض الخيار العسكري في الخليج) رئيساً للمجلس الاستشاري الرئاسي الخاص بالاستخبارات سيعطي كلتون حصانة خاصة ورأياً «آخر» في شأن نوعية التغيير المطلوب في عمل الوكالة.

وبالمقارنة مع الادارة السابقة، لا يوجد بين المسؤولين الجدد خارج البنتاغون، من يعرف علاقات الشرق والغرب تماماً وقضايا الأسلحة النووية والمفاوضات مع «السوفيات» جيداً. ولا يمكن اعتبار كريستوفر صاحب الخبرة في مفاوضات الصوف والقطن، أو ليك الاختصاصي في شؤون العالم الثالث، من أصحاب الخبرات الكبيرة في المجال النووي. وهنا تبرز أهمية خبرة وولسي ليس على مستوى الوكالة فحسب بل أيضاً في مجلس الأمن القومي، لمساعدة الرئيس في اتخاذ مواقف ذكية ومدروسة في شأن المفاوضات النووية والتقليدية في أوروبا وخارجها

(مدير وكالة الاستخبارات عضو غير دائم في مجلس الأمن القومي).

واستتباعاً لذلك فإن تأثير وولسي في مجلس الأمن القومي سيتعدى الوكالة إلى السياسة عموماً. وهو كان ألمح إلى ذلك في خطاب له أمام «مجلس الشؤون الدولية» (W.A.C.) أكد فيه «أن العالم الذي نراه اليوم يظهر أكثر فأكثر كأحد أشكال العالم القديم القاتلة قبل عام ١٩١٤، حيث ظهرت الميول القومية التي أنتجت الهولوكوست». ورأى أنه «يجب أن يكون هناك عمود فقري لإدارة العمل ويجب استدراك الخلافات بين الجيش وسلاح الجو والبحرية مع الإدارة في البيت الأبيض، وبذلك يمكن تفادي الكثير من الأزمات في التخطيط والتنفيذ العسكري والتفاوض مع العدو».

وإلى ذلك يستاء وولسي من الحركات المدنية الوطنية خصوصاً التنظيمات الكنسية التي تقف ضد التسليح والمنظمات الليبرالية التي تؤيد تجميد التطوير النووي. وينتقد علناً الإدارات التي تركت المجال السياسي والاعلامي مفتوحاً أمام تلك المنظمات من خلال عجزها عن إيصال الأهداف السامية والتحليلات المطلوبة لابرز «سياسة الدفاع» الأمريكية.

وسبق لهذا الرجل أن كتب ينتقد ما سماه «الحملات الليبرالية» لكنه اليوم جزء من إدارة تعتبر نفسها ليبرالية. هذا «الارتباك الايديولوجي» بين ما هو داخلي خاص بالولايات المتحدة وشعبها، وبين ما هو خارجي يتعلق بتطوير الأسلحة النووية مثلاً، أدى برأيه إلى اضعاف الموقف التفاوضي حيال السوفيات. ويؤكد وولسي نفسه أن هؤلاء استغلوا نقاط الضعف هذه لضرب طرف بآخر.

وهو كان معجبا منذ البداية بالتغيرات التي أضفها آسبين، ونان غور على تفكير الديمقراطيين في شأن قضايا الدفاع والأسلحة النووية، واعتبر قرار ستة من أعضاء الكونغرس بالعمل مع الادارة للتوصل إلى حل وسط في شأن «تطوير الأسلحة النووية في اتجاه المزيد من الاستقرار» (أي تقليل عددها عبر التفاوض مع السوفيات) أهم المنعطفات لتقرير مصير الدفاع الأمريكي ومستقبله، وهو يرى أيضاً التطورات السياسية والعسكرية من موقع السياسات الواقعية كما يفعل هنري كيسنجر، ولذا فإنه متشائم عموماً. لكنه اليوم ومع انتهاء الحرب الباردة يعبر عن نوع آخر من التشاؤم بسبب اندلاع الحروب القومية «والتحضير للهولوكوست» والحروب العالمية الجديدة.

وعلى حد تعبير جيم هوغلاند في صحيفة «واشنطن بوست»، فإن وولسي يرى الأمور في إطارها الكبير على عكس الذين ينظرون إليها نظرة تفصيلية. إنه في نهاية المطاف خبير عسكري رفيع المستوى، ومن نتاج الحرب الباردة، ومعادٍ عموماً للعالم الثالث، وهذه من بقايا معاداته للشيوعية والاتحاد السوفياتي المرحوم. وفي حين ينظر اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة إلى كريستوفر نظرة عدائية، فإنه يعتبر وولسي من «مؤيدي اسرائيل».

وفي مقال نشره «مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية» في واشنطن في آب (أغسطس) عام ١٩٩٢، كتب وولسي يقول عن دور الحلف الأطلسي بعد انتهاء الحرب الباردة «ان التدخل في الشرق الأوسط بواسطة الحلف صعب حالياً إلا أنه ممكن في ظروف معينة، ويمكن أن يكون مفيداً في جميع الحالات إذا ما هيأت له الولايات المتحدة وحليفاتها القوة والتنظيم والقواعد المناسبة». ويعتبر أيضاً أن السياسة

الفرنسية التي ترفض اقامة قواعد للحلف الأطلسي في فرنسا ولا تتماشى بالضرورة مع تفكير الولايات المتحدة في شأن الأمن في المتوسط والشرق الأوسط «من أهم العوائق». كذلك يرى في النهاية أن قوات الحلف يمكن أن تخدم بصورة فعّالة في الشرق الأوسط إذا كان التوقيت والتنظيم ملائمين»، لذا «فدورها خارج أوروبا مهم، والشرق الأوسط أفضل مثال على ذلك».

### أنتوني ليك

يشاع في واشنطن أن تخصص أنتوني ليك (وبالتالي اهتمامه) في شؤون العالم الثالث وقضاياها بدأ مع متابعته لمسألة فيتنام إلى جانب سنري كيسنجر. وبدا واضحاً، في وقت لاحق، أن وقوفه ضد هذه الحرب وسياسة الولايات المتحدة إزاءها تحول في اتجاه أكثر ايجابية، وكان ذلك عاملاً مهماً، خصوصاً عندما أصبح مقرباً من صنع الحوادث السياسية في عهد الرئيس نيكسون.

وهناك ايجابيات أخرى في تفكيره. فهو، على الأقل، حتى تسلّمه منصبه الجديد، كان من المؤيدين لاعطاء الأمم المتحدة دوراً قوياً في حل القضايا والمشاكل الدولية. وكمفكر مجدد وخلق يعتبر من القادرين على صياغة سياسات جديدة وتحليل الأزمات التي تواجه الولايات المتحدة واقترح سيناريوهات مختلفة للتعامل معها.

وبناء على كتاباته في السنوات الماضية يمكننا تفهم مواقفه من قضايا العالم الثالث، خصوصاً وقوفه ضد كيسنجر. ويبدو أن أهم تلك الكتابات كان في العام ١٩٨٥ عندما أجرى مقارنة بين سياستي ريغان وكارتر، أو بين «الاقليميين والدوليين»، أو بين «الليبراليين والمحافظين»

في ما يخص الأنظمة الراديكالية في العالم الثالث. ويمكن اعتبار هذا البحث حجر الزاوية في فهم تفكيره وتحليله للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه ذلك العالم: لمبادئها وأساليبها وأهدافها وأخطائها.

ويجوز الافتراض اليوم، أن فهمه هذه السياسة سيزداد تماسكاً بعد انهيار المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفياتي.

يقول ليك: ان سياسة الولايات المتحدة تجاه الدول الراديكالية (ليبيا، ايران، افغانستان، جنوب أفريقيا، فيتنام، نيكاراغوا) يجب أن تتصف بـ «الليونة» و«الصبر» أكثر منها بـ «طهارة المبدأ». ويعتبر أن المبالغة في التصريحات المعادية توصل فقط إلى الاحراج في الداخل، والتصلب الدبلوماسي في الخارج ونفخ الذات عند الأنظمة المستهدفة، وعلى المدى البعيد فإن الناخب الأمريكي لا يرتاح ولا يصيبه الإعجاب عندما تكون النتائج أقل من التصريحات والوعود. (وهذا ما حصل مع بوش في «حربه» مع صدام حسين).

إلا أنه يتساءل عما إذا كانت براغماتية كهذه «عملية» في واشنطن. ويجب عن نفسه بأن سياسة الليونة والصبر تعتمد في النهاية على الشعب الأمريكي، إذ تشكل الأنظمة المتطرفة (الراديكالية) وقيادتها أهدافاً رائعة للخطاب السياسي المحلي وتنتج صوراً مثيرة على نشرات الأخبار المسائية. وهذا المعنى لم يكن مفاجئاً أنه من خليج الخنازير الكوبي إلى محاولات انقاذ الرهائن في ايران، تماشى الرؤساء مع قلة الصبر الشعبية (بينت استفتاءات كثيرة أن الشعب يريد النجاح بسرعة في مواجهة مع الأنظمة المعادية، وبشمن قليل).

لقد سبق لوزير الخارجية السابقين هنري كيسنجر وسايروس

فانس أن اكتشفا صعوبة بناء الدعم الشعبي لسياسة معقدة. فهناك الذين يضحون بفعالية السياسة في مقابل التأييد الشعبي، وهناك الذين يتخلون عن سياستهم المعقولة بعد اتهامهم بـ «التنازل» أو عرض آراء متنافرة أو مفككة، والولايات المتحدة لا تستطيع أن تتحمل أياً من المسارين.

فالسياسة الأمريكية العملية (البراغماتية) في رأي ليك تعتمد أولاً على القيادة في واشنطن وعلى مابرتها في اعتماد التوضيح والتثقيف لتسويق تحركها في الخارج مهما كان غير شعبي.

كانت هذه زبدة تفكيره في إدارة السياسة الخارجية حيال العالم الثالث عموماً والأنظمة الراديكالية خصوصاً. ويشير، لتأكيد رأيه، إلى أنه لا يمكن تطبيق نظرية واحدة على كل الحالات حيث تختلف الشروط والقواعد والعوامل المؤثرة. وهكذا فهو يرفض نظرية المحافظين «الايديولوجيين» الذين ادعوا في الثمانينات وفي أيام الحرب الباردة أن الأنظمة الراديكالية المعادية كلها ماركسية أو تكره الولايات المتحدة أصلاً، أو أنها جزء من «الخطة السوفياتية» للاستيلاء على المصالح الأمريكية، أو أن مصالحها جميعاً متوافقة مع مصالح الاتحاد السوفياتي (السابق) وأهدافه دائماً.

ويتوسع هنا، في شرح تقييمه ومنهجه ويأخذ السياسة الخارجية في السنوات الأربع الأولى من حكم ريغان كمثال، ويقول «ان الادعاء أن الأنظمة الوطنية كلها موالية للاتحاد السوفياتي يخالف المنطق إذ تكسرت الرسالة الشيوعية والسياسة السوفياتية الأمية على صخرة الشعور

والتفكير الوطني أو القومي وهذا ما شهدناه خصوصاً في مصر والعراق».

ويؤكد، تبعاً لذلك، أن «الأنظمة الراديكالية» المعادية» ليست كلها ماركسية أو يسارية. ففي إيران يمينية وفي جنوب أفريقيا يمينية أما في ليبيا فإن النظام هو خليط من اليسار واليمين». وغالبية هذه الأنظمة لم تولد لتتغذى على محبة الاتحاد السوفياتي بل انها على أكثر من صعيد، كانت أقرب إلى الولايات المتحدة وأحوج إليها من قربها إلى الاتحاد السوفياتي وحاجتها إليه. وعلى هذه الخلفية يفسر الدعم المالي الذي قدمته ادارة كارتر إلى نيكاراغوا في العام الأول لوصول الساندينينيين إلى الحكم (٧٥ مليون دولار) على رغم معارضة الكونغرس. ويرى أنه كان يمكن الاستمرار في سياسة من هذا النوع تنافس المساعدة الكوبية (والسوفياتية) لكسب نيكاراغوا أو على الأقل منعها من الاستمرار في مساعدة الثوار في السلفادور. ويعتبر أكثر من ذلك أن هذا الأمر كان ممكناً أيضاً بالنسبة إلى سنوات الثورة الكوبية الأولى.

ويعود ليك إلى سياسة واشنطن حيال ليبيا ليقول انها كانت «معتدلة» في العام ١٩٧٠ بعد وصول القذافي إلى السلطة، وحاولت إدارة نيكسون ارضاء الزعيم الجديد ووافقت على اخلاء قاعدتها الجوية في طرابلس، كذلك حذرت القيادة الجديدة من محاولة للانقلاب عليها. إلا أن هذه السياسة لم تجدي لأن ليبيا اتخذت مواقف معادية ما أدى إلى تجاهلها من قبل ادارة كارتر في الفترة المبكرة لولايتها.

وعلى رغم ترك الباب مفتوحاً لتحسين العلاقات، فإن ليبيا استمرت في سياسة «العداء للامبريالية»، وأخذت واشنطن من جهتها

تتهم النظام الليبي بـ «الارهاب وخرق حقوق الإنسان» مما أدى إلى اتخاذ بعض الاجراءات الخاصة بالمقاطعة، ثم هوجمت السفارة الأمريكية في طرابلس فانقطعت العلاقات وما بقي في ليبيا كان بعض الشركات «ورجال استخبارات يتنكرون كرجال أعمال».

الايجابي بل الخارج عن العادة في تفكيرك وتحليله ينبع من أنه يرى في حالات كثيرة، ان فشل سياسة «الجزرة» مع الأنظمة الراديكالية يرجع إلى أن الادارة في واشنطن لم تحاولها كفاية، عدا عن أن سياسة العصا غالباً ما أنتجت الفشل، إن كان حيال ليبيا، أو في المحاولة العسكرية لانقاذ الرهائن في ايران، أو في مقاطعة الصين الشعبية وعدم الاعتراف بها، أو في المقاطعة لموسكو بعد أفغانستان الخ. ويؤكد في هذا الاطار أهمية تفحص كل حالة على حدة قائلاً ان بعض الحالات تستدعي «الجزرة» و«العصا» معاً لكن يجب أن لا تدخل أي ادارة إلى واشنطن مفترضة أنها تملك الحلول لجميع القضايا الإقليمية.

ويحسب قاموس معين للمصطلحات السياسية، يشير إلى «الإقليمية» في التعامل مع الأنظمة، أو بكلمات أخرى أخذ العوامل المحلية وطبيعة النظام وطريقة تفكير قادة هذا النظام في الاعتبار. ويؤكد مثلاً أن التعامل مع ليبيا يجب أن يأخذ في الاعتبار طريقة تفكير معمر القذافي ونوعية النظام وشعبيته، إضافة إلى المقارنة بين سياسة النظام خارج الحدود وداخلها من ناحية و«ثمن» السياسة الأمريكية تجاهه من ناحية ثانية.

ويتطرق ليك إلى سياسات هافانا وموسكو وطهران ليؤكد «أن الثورة

لا تصدّر»، ولهذا فإن التركيز يجب ألا يكون على الأنظمة المتهمّة بذلك، بل على الوضع الاقتصادي والسياسي والظروف الاجتماعية في الدول التي من الممكن أن «تستورد الثورة». ويقول ان قابلية هذه الدول «لاستيراد الثورة» مردها إلى رغبتها في البحث عن حلول لمشاكلها، وهنا تماماً يوجد دور مهم للولايات المتحدة يتفوق على أدوار اللاعبين الآخرين مثل الاتحاد السوفياتي ونيكاراغوا وايران وكوبا.

### العلاقة مع كلنتون

لقد أكد الرئيس كلنتون أن ليك «مفكر خلّاق يملك شجاعة التمسك بمبادئه في الأزمات، وكان يعبر عن صوت المنطق والعقل في ظل الارتباك أثناء الحملة الانتخابية للرئاسة. وهو إنسان راجح العقل يقدم النصيحة التي يعتمد عليها ويمكن احترامها».

لم تكن تلك مجرد كلمات للإعلام (وكان يمكن أن تكون كذلك فقط) وإنما تعبر فعلاً عن العلاقة بين الرجلين. إذ بينما أخذ الرئيس النصائح السياسية الخاصة بالخارج من شخصيات مثل لي هاملتون، رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب، وديف ماكيردي، رئيس لجنة الاستخبارات، وغيرهما من مفكري المعاهد المهمة مثل روبرت هنتر وويل مارشال، رئيس «معهد السياسة التقدمية» التابع للحزب الديمقراطي، وآل فروم رئيس مجلس قيادة الحزب، أو صموئيل بيرغر، إلا أن كلنتون اختار ليك لرئاسة مجلس الأمن القومي واضحاً بذلك ترجمة عملية لكلامه سابقاً وأثبت صدقيته... هنا على الأقل.

والحق أن ازدياد التحديات الدولية في وجه واشنطن يؤدي إلى ارغام كلنتون على الاعتماد على مساعديه والتنسيق مع الكونغرس ذي الأكثرية الديمقراطية. ويمكن التقدير أن الرئيس سيتبع، في سياسته الخارجية، توجهاً مستوحى من القرارات التي دعمها الكونغرس في الاثني عشرة سنة الماضية. كما أن سياسته ستعكس توازن القوى بين مساعديه وما يمثلون من ايدولوجيات و«لوبيات» خاصة وقوى في الكونغرس وخارجه. لن يفرض كلنتون، كما كان يفعل بوش وبيكر، سياسة على هؤلاء المستشارين. سيوزع مع كريستوفر المسؤوليات ولا يكفي بتوجيه الأوامر.

ان كلنتون، اليوم، هو غيره من ربع قرن. لا مبدأ عزيزاً على قلبه أكثر من النجاح. قربه من الناس وقدرته على مخاطبتهم نابعان من التجربة والغريزة السياسية أكثر من صدورهما عن الحب. يريد كلنتون، كما تدل سيرته كلها، أن يبني لا أن يهدم، ولذلك ليس طبيعياً أن يبدأ بمواجهة ما هو موجود فعلاً: المصالح الخاصة و«اللوبيات».

لن يكون كلنتون رئيساً ضعيفاً ولكنه قد لا يكون رئيساً مبادراً. وليس من المستبعد أن يرد بعزم وقوة على أي أزمة خارجية في محاولة منه للبرهنة على صلابته. ولكن ميله الفعلي، إذا ما سنحت له الفرصة، هو إلى الاهتمام بالشؤون الداخلية ومحاولة انهاض الولايات المتحدة من عثرتها. وهو يعتبر أن هذا الأمر الضروري في حد ذاته يصبح ضرورياً أكثر إذا ما اضطرت الولايات المتحدة إلى التدخل في الخارج. إلى ذلك فإن الاجتماعات الأسبوعية - وخاصة على وجبة غداء

الأربعاء - بين آسبين وليك وكريستوفر لها أبعاد الأثر على صوغ النصيحة التي سيتلقاها كلنتون.

## الشرق الأوسط

يحتل الشرق الأوسط مكاناً خاصاً في السياسة الخارجية الأمريكية قياساً بقضايا العالم الثالث. ويرجع ذلك إلى الأهمية البترولية والاستراتيجية من جهة وإلى العلاقة مع اسرائيل من جهة ثانية. يصطدم، هنا، الحديث عن الديمقراطية بالمصالح الحيوية وباللوبي اليهودي القوي مما يجعل السياسة الأمريكية في المنطقة أمراً محلياً بامتياز يهّم الكونغرس ويؤثر في شعبية الإدارة. إن سياسة أمريكا في كينيا والبرازيل، مثلاً، لا تتأثر بالعوامل المحلية كما يحصل مع سياستها حيال القضية الفلسطينية.

يشكل اليهود من ٢ إلى ٤ في المئة من نسبة السكان في الولايات المتحدة وحوالي ٦ في المئة من المقترعين للحزب الديمقراطي. غير أن قوتهم التنظيمية وتبرعاتهم تعطيمهم وزناً مضاعفاً خاصة أنهم موجودون في المدن والولايات المهمة التي كانت محور استراتيجية بيل كلنتون الانتخابية. إذ يقطن ٨٥ في المئة منهم في نيوجرسي وكاليفورنيا وفلوريدا وألينيوي وميريلاند وأوهايو وبنسلفانيا ونيويورك وماساتشوستس وميسوري.

حصل في الانتخابات عام ١٩٩٢ ما يحصل عادة من ذهاب معظم الأصوات اليهودية إلى الحزب الديمقراطي. فإن يهود الولايات المتحدة كانوا مستائين من لهجة إدارة جورج بوش وأسلوب دعمها، الأمر

الذي توجته برفض إعطاء ضمانات القروض قبل الحصول على موقف واضح في شأن الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة. ومع أن بوش تراجع وقدم الضمانات فإن داعمي إسرائيل وجدوا في سجله وسجل بيكر ما يعزز مخاوفهم. فلقد سبق لبيكر، أيام كان نائباً لوزير التجارة في إدارة جيرالد فورد، أن وصف المقاطعة العربية لاسرائيل بأنها قضية سياسية واقتصادية لا أخلاقية مانحاً كل شركة حق اختيار زبائنها. وقد دعم الاثنان صفقة «الأواكس» للمملكة العربية السعودية، وتحدث بيكر في خطاب شهير له أمام مؤتمر «ايباك» (اللوبي اليهودي في أميركا) داعياً اسرائيل إلى التخلي عن برنامج «أرض اسرائيل الكبرى». إلى ذلك أثارَت الإدارة عدداً من المشاكل الفرعية سمحت للبعض باتهامها بأنها «لا تكن وداً لاسرائيل ولا تصدر، في دعمها، عن قناعة ايديولوجية راسخة».

في المقابل كان كلنتون كريماً في الوعود التي اطلقها لصالح الدولة العبرية وصريحاً في انتقاده الادارة السابقة لممارستها الضغوط على هذا «الحليف الاستراتيجي والديمقراطي». وجاء في رسالة بعث بها إلى الناخبين يطلب دعمهم ما حرفيته: «نعم اسرائيل وأمريكا على منعطف طرق اليوم... نطلب منكم دعماً مالياً سخياً... إن بوش يستطيع أن يجمع الملايين بدعوة اصدقائه الاغنياء إلى العشاء... هل تساعدوني على إرجاع المنطق إلى العلاقة الأمريكية - الاسرائيلية... الرجاء أجيئوا اليوم وكونوا كرماء... أقسم أي، إذا انتخبتم رئيساً، لن أختيب أمل اسرائيل أبداً...».

لقد تمادى كلنتون في إظهار الدعم لاسرائيل مستغلاً استياء أوساط

يهودية واسعة من «لهجة» تعامل بوش مع تل أبيب ومعوضاً عن تقلص الدعم القوي له من اتحادات العمال بالدعم الذي يلقاه من «اللوبي».

وجاء في تقرير لمنظمة «الكونغرس الأمريكي اليهودي» أن ٨٥ في المئة من أصوات اليهود ذهب إلى كلنتون، و١٠ في المئة إلى بوش، و٤ في المئة إلى روس بيرو. ولا يمكن حساب ذلك باعادته إلى الموقف من إسرائيل حتى لو افترضنا صحة هذا التقرير، إذ انه من المعروف أن اليهود يميلون، في غالبيتهم، إلى الليبرالية الاجتماعية والسياسية. وقد لحقهم الضرر الذي أصاب الولايات المشار إليها. وبما أن الكثيرين من الفعّالين سياسياً بينهم يعملون في الوظائف الإدارية فقد خاطبهم كلام كلنتون مباشرة وأثار حماسهم. وعند انتهاء مؤتمر الحزب الديمقراطي في نيويورك كانت التبرعات المقدمة من اليهود توازي ١٥ مليون دولار. ويقدر الصحافي توماس فريدمان أن تبرعات اليهود شكلت ٦٦ في المئة من التبرعات غير المؤسساتية لحملة كلنتون.

غير أن الذي حصل، مع بداية التعيينات في الإدارة الجديدة، هو ادعاء أصوات يهودية أنها غير ممثلة كفاية مثلما هي حال النساء (٥٠ في المئة من السكان على الأقل) أو ذوي الأصل الاسباني (١٨ في المئة). ومع أن وجه الصحة في الشكوى أن اليهود لم يمثلوا في الإدارة الحكومية كما كانوا ممثلين في إدارة الحملة، فقد نالوا حصة كبيرة من الأصدقاء. فليس آسبين وجيمس وولسي هما من داعمي إسرائيل المعروفين وهما عضوان في المجلس الاستشاري لمعهد «جنسا» اليهودي الذي تأسس على مبدئين: دعم القوة العسكرية الأمريكية ودعم العلاقة الاستراتيجية الأمريكية - الاسرائيلية. ومن مواقف هذا المعهد تأييد

اغتيال اسرائيل الأمين العام لـ «حزب الله» اللبناني عباس موسوي واعتباره خدمة للمصلحة الأمريكية، وانتقاد إدارة بوش لاضطرابها إلى إدانة هذا العمل، وهو يرى أن وزراء مسيحيين مثل الكسندر هيغ وجورج شولتز أكثر أهمية وتأيداً من وزراء يهود مثل واينبرغر وشليسنجر وبراون وان ليس آسيين يكمل السلالة الأولى. وجاء تعيين صموئيل لويس السفير الأمريكي السابق لدى اسرائيل مديراً للتخطيط السياسي في وزارة الخارجية ليعزز الاتجاه نفسه، فلويس قد عمل حتى تعيينه كأحد مدراء بنك لثومي الاسرائيلي. وإذا كانت للويس مؤهلات للتخطيط، فذلك لكونه أحد مدراء مركز دايان للدراسات الاستراتيجية في جامعة تل أبيب، ورئيس مجلس مدراء معهد ترومان في الجامعة العبرية. أضف إلى ذلك أنه عضو مجلس مدراء معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى ورئيس معهد السلام الذي استضاف إتمار رابينوفيتش قبل أن يصبح سفير اسرائيل في واشنطن. ويمكن اعتبار مادلين البرايت مندوبة أمريكا إلى مجلس الأمن وعضو مجلس الأمن القومي، صديقة لتلك البلاد، بحسب معلقين مؤيدين لاسرائيل، «متفهمة لحاجاتها الأمنية»، وكذلك ميكي كاتنور وجيمس كارفيل.

ولعل أبرز المعبرين عن هذا التوجه نائب الرئيس آل غور. لقد سبق له أن أعلن في عام ١٩٨٥ أن «إسرائيل أقوى حليف لنا، وأفضل صديق، ليس في الشرق الأوسط فقط بل في العالم كله»، ومثلاً على ذلك اقترعت اسرائيل إلى جانب الولايات المتحدة في مجلس الأمن في ٨٨ في المئة من الحالات مقابل ٨٠ لمصلحة بريطانيا، و٧٠ لكندا، و٨ للعراق. وقد اعتبر الكثيرون من قادة اليهود الأمريكيين أن

دخول غور المعركة إلى جانب كلنتون سيرفع شعبية هذا الأخير لديهم ووصل الأمر بالسناطور اليهودي الديمقراطي عن ولاية كونيتيكت، جوزيف ليرمان، حد القول ان «غور مرشح يهودي جداً»، وان آراءه متوافقة جداً وفي غالبية المواضيع بما في ذلك البيئة، مع آراء الجالية اليهودية، وقد لعب الرجل دوراً مركزياً في تنظيم أول مؤتمر وطني يهودي حول البيئة. ويؤكد روبرت لفتين رئيس «الكونغرس اليهودي الأمريكي» أن غور «مؤيد جداً جداً للعلاقة الأمريكية - الاسرائيلية وقد كان حاضراً في كل مرة احتجنا فيها إليه». وبالفعل فإن غور صوّت إلى جانب جميع الاقتراحات التي تتضمن مساعدات مالية أو عسكرية إلى اسرائيل وضغط من أجل إعطائها ضمانات القروض. وكان قام برحلته الأولى إليها في عام ١٩٨٦ عن طريق الرحلات المنظمة التي ترتبها منظمة يهودية معروفة هي «الرابطة اليهودية ضد التشهير». لا يمنع ما تقدم أن الأوساط المؤيدة لاسرائيل حاولت أن تضغط لمنع تعيين وارن كريستوفر في منصب وزير الخارجية (كما تكشف ذلك المكالمات الهاتفية الشهيرة بين أحد المتبرعين لـ «إيباك» وبين رئيسها ديفيد ستاينر الذي استقال لاحقاً)، ثم استقبلت تعيينه بفتور شديد إن لم يكن بسلبية. وقد أوضح ذلك باتريك كلاوسون من معهد السياسة الخارجية في فيلادلفيا بقوله «إن كريستوفر هو أسوأ رجال كارتر لناحية استخدام القوة» وتكشف هذه العبارة وجهي التعارض بين مؤيدي اسرائيل وشخص مثل كريستوفر.

الوجه الأول هو «استخدام القوة». فإذا كانت الإدارة تضم جناحاً ولسونياً فإن هذا الجناح يريد خلع ليبرالته عند أبواب الشرق الأوسط ليطالب بعدم التخلي عن استخدام القوة هناك. وكريستوفر الميال إلى

الحلول الدبلوماسية قد يعرقل التمسك بهذا الحق .

الوجه الثاني هو «رجال كارتر». ثمة اشكال فعلي بين اللوبي اليهودي و«رجال كارتر»: وارن كريستوفر، انتوني ليك، صموئيل برغر وبيتر كارلوف. صحيح أن ليك انتقد هذا اللوبي مرة في عام ١٩٨١ لأنه يشوّش على سياسة الإدارة في سعيها إلى بيع طائرات آواكس الى السعودية، إلا أنه يحاول اليوم جاهداً أن يقنع أعداءه بأنه تغير وأصبح يفكر مثلهم، لكن كريستوفر لم يُعرف عنه موقف واحد سلبي حيال اسرائيل ولا هو في عداد «مستعربي» الخارجية الأمريكية مثل وليم كوانت. التهمة الموجهة إلى كريستوفر وليك هي علاقتها بسياسة سايروس فانس الشرق الأوسطية. فلقد واجه اللوبي اليهودي الخاضع حتى الآن لسيطرة أنصار «الليكود» «رجال كارتر» وذلك عندما كان منحيم بيغن رئيساً للوزراء في اسرائيل. ويتناسى اللوبي دور كارتر في «كامب ديفيد» وما أدت إليه من إخراج لمصر من الصراع ليتذكر حوادث أخرى: منها، مثلاً، أن فانس هدد اسرائيل بأنها إذا بنت مستوطنة جديدة فإنه لن يلتزم تعهد الولايات المتحدة عدم الاتصال بمنظمة التحرير. كذلك كانت العلاقة بين كارتر واسحق رابين، السفير الاسرائيلي في واشنطن، باردة في أيامها الأولى.

والمعروف أن زبغنيو بريجنسكي، مستشار كارتر لشؤون الأمن القومي، كان لا يمانع في الحوار مع المنظمة إذا اقتضى الأمر ذلك ويحذر من ارتكاب الخطأ الذي ارتكبه الفرنسيون بعدم الحوار مع «جبهة التحرير الوطني» في الجزائر. وجدير بالذكر أن كلاً من وولتر مونديل ووارن كريستوفر اعترضوا على الأمر. أما كارتر فيبدو أنه كان متردداً إلى أن انفجرت قضية اللقاء السريع بين اندرو يونغ سفير أمريكا إلى الأمم

المتحدة و«زميله» الفلسطيني زهدي الطرزي . ومع أن القضية أدت إلى استقالة يونغ فإن الإدارة الأمريكية فتحت خطأً على منظمة التحرير أملاً بالحصول على مساعدتها في إطلاق الرهائن الأمريكيين في طهران . وبالفعل أدى ذلك إلى إطلاق ١٣ أمريكياً بصورة مبكرة، غير أن مساعد وزير الخارجية نيكولاس فيليوتس اعتبر أن الاتصالات تمت لأهداف محدودة وهي لا تعني تغييراً في سياسة الإدارة .

يبقى أن فانس هو «رجل الإدارة» الذي ذهب بعيداً في موقفه من الفلسطينيين مشيراً إلى طردهم من منازلهم، وتجزئتهم، وعيشهم في البؤس، وبقائهم العنصر المركزي وغير المحلول في قضية حقوق الانسان في الشرق الأوسط، وذلك في كتابه «سنوات صعبة، سنوات حاسمة في السياسة الخارجية» (ص ٦٧) .

وكان كارتر أكد، في الأشهر الأولى لحكمه، على ضرورة حصول الفلسطينيين على وطن (١١ آذار (مارس) عام ١٩٧٧) وعاد إلى الفكرة في ٢٦ أيار (مايو) من العام نفسه، داعياً إلى تعويض الفلسطينيين خسارتهم . غير أن كارتر تراجع عن مواقفه في نهاية عهده وبدل استخدام هارولد ساندرز وألفرد اثيرتون، مساعد فانس، لتابعة تطبيق كامب ديفيد، قام بضغط من اللوبي، بتعيين روبرت ستراوس ثم صول لينوفيتش مبعوثين عن الإدارة، الأمر الذي كاد يؤدي إلى استقالة وزير الخارجية . ووصل تراجع كارتر إلى ذروته حين تراجعت أمريكا عن التصويت في مجلس الأمن ضد الاستيطان في القدس مدعية حصول خطأ بيروقراطي . ولاحقاً، عندما أثار فانس مع كارتر قضية المستوطنات، أشار هذا الأخير إلى ضرورة أن يحمي نفسه

مع اقتراب الانتخابات الرئاسية وقال لوزيريه مازحاً: «اهتمّ بها انت» .

إن مشكلة اللوي اليهودي مع كريستوفر هي، إذاً، علاقته بكل من فانس وكارتر. ويدل تعليق لـ «واشنطن تايمز» ضد تعيين كريستوفر على طبيعة هذه المشكلة. تروي الصحيفة أنه عندما أبلغ كارتر، بحضور فانس، أن خطة إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين في طهران تقضي بإطلاق رصاصتين في جبين كل خاطف، علق هذا الأخير بقوله «ألا يمكن إطلاق النار على أرجلهم، مثلاً، أو اكتافهم» .

والخلاف مع كريستوفر وليك وتارنوف (رئيس الدائرة السياسية في الخارجية) لا يقوم إذاً حول مدى دعمهم لاسرائيل بل حول مدى استعدادهم لاستخدام القوة في الشرق الأوسط. ولا علاقة لهذا الخلاف بما أشيع، عربياً، عن أن التعيينات الجديدة مطمئنة بالنسبة إلى العرب وهي إشاعة انطلقت على الكثيرين من دبلوماسيي الشرق الأوسط في واشنطن الذين قيّض لكاتب هذه السطور مناقشتهم في معرض الإعداد للكتاب. ولعل الدليل على ما تقدم أن مؤيدي لاسرائيل مثل ادوار ساندرز الرئيس السابق لـ «ايباك» وايزنستات، أحد أهم مستشاري كلنتون، أكدوا أن كريستوفر صديق لاسرائيل واليهود ومعارض دائم لأي تعاط مع منظمة التحرير الفلسطينية.

لقد كان الشرق الأوسط حاضراً، إلى حد ما، في حملة كلنتون الانتخابية للأسباب المشار إليها آنفاً وعلى رأسها أنه «قضية داخلية» . وإذا كانت التعيينات تعكس الأرجحية الواضحة لأصدقاء اسرائيل فإن مفتاح الموقف يبقى ميل الرئيس بيل كلنتون الشخصي، وميل زوجته هيلاري (وهذا ليس بتفصيل) إلى دعم إسرائيل .

لا يلغي هذا الميل احتمال تعديل السياسة عند الممارسة كما أنه لا يلغي استمرار السجال الداخلي. ولكن الأمانة تقضي القول ان هذا السجال يعكس، في وجهه الأبرز، النقاش الدائر في اسرائيل نفسها بين الصقور والحمام. ولقد كان واضحاً في خلال الحملة أن المواقف كانت حصيلة حوارات دارت بين مايكل مندلبوم وستيفن سيغل وهما يهوديان مقربان من اللوبي في صيغته «الليكودية»، إضافة إلى ريتشارد شيفتر (مساعد بيكر لشؤون حقوق الانسان الذي استقال من منصبه وانضم إلى الديمقراطيين بسبب الموقف من اسرائيل والضمانات لاسرائيل من دون شروط، وتعزيز التحالف مع «الديمقراطية الوحيدة» في الشرق الأوسط، وعدم الاهتمام بإرضاء العرب في المفاوضات)، وبين صموئيل بيرغر وإيلي سيغل وهما من مؤيدي حزب «العمل» الاسرائيلي وحركة «السلام الآن».

ولعل المطلوب هو التوقف، بعض الشيء، عند تسليم ملف الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي الى مارتن اندايك الرئيس السابق لـ «معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى» المقرب من «ايباك». وكان طُلب منه أن يعد تحليلاً يخدم في صياغة مشروع إدارة كلنتون حيال الشرق الأوسط، وساعده في ذلك بعض من هم في الإدارة اليوم: ليس آسبين، اولبرايت، صموئيل لويس، الخ...

حاز مارتن اندايك على الجنسية الأمريكية في غمرة فوز كلنتون بالرئاسة. انه اوسترالي انتقل إلى واشنطن سنة ١٩٨٢ وعمل مساعداً لستيفن روزين مدير الأبحاث ومسؤول السياسة الخارجية في اللوبي اليهودي (ايباك). وهناك لفت نظر باربي زوجة لاري واينبرغ أحد كبار

المتبرعين للوي ورئيسه السابق. وقد استطاع مارتن بمعاونة باربي تأسيس معهد واشنطن الذي لا يخفي صلته العضوية بـ «إيباك»، وإن كان ينتقد، أحياناً، جوانب في السياسة الليكودية بتأثير من حزب «العمل».

يؤكد اندايك في كتاباته أن الولايات المتحدة هي القوة العظمى الوحيدة في «النظام العالمي الجديد» وإن عليها استغلال نفوذها الكبير في الشرق الأوسط لانتاج نظام اقليمي جديد يضمن مصالحها وأمن اسرائيل.

وهو يدعو إلى مراقبة التوازنات التالية في المنطقة وتطوراتها الدراماتيكية في الثمانينات:

١ - التوازن العربي - الاسرائيلي بات شبه محسوم لصالح تل أبيب، ولكن ذلك لا يجوز له أن يؤثر في عمق التحالف الاستراتيجي بينها وبين واشنطن.

٢ - التوازن العربي - العربي. إنه ذلك الذي يحمي التوازن الأول بقدر ما يكون لأصدقاء أمريكا نفوذ قوي فيه. وهذا ما حصل منذ «كامب ديفيد» والدخول الاسرائيلي إلى لبنان والحرب العراقية - الايرانية وتوَّج في حرب الخليج الثانية.

٣ - التوازن العربي - الايراني والمطلوب هنا التحييد المتبادل من دون أن يؤدي الأمر إلى بروز قوة تشكل خطراً.

٤ - التوازن الأمريكي - السوفياتي وقد انتهى لصالح الولايات المتحدة مع انتهاء الحرب الباردة.

التدخل الأمريكي في هذه التوازنات يمكنه أن يحدث ارتباكاً. مثلاً، من أجل دعم التوازن العربي - العربي لصالح أصدقاء أمريكا تضطر واشنطن إلى تسليحهم بحيث يتأثر التوازن الأول. غير أن أنديك إذ يستعرض مثل هذه التفاصيل فإنه يعرب عن راحته لما «استقرت» عليه الأمور معتبراً أن ذلك يفتح عهداً جديداً في المنطقة تعبر عنه المفاوضات العربية - الاسرائيلية وبالشروط التي تجري فيها. وهو يدعو إلى ربط هذه المفاوضات بمصير أوضاع الخليج العربي، ورفض الفكرة القائلة ان وزن اسرائيل الاستراتيجي قد تراجع. ويقترح سياسة أمريكية في مجال المفاوضات تأخذ، حرفياً إلى حد بعيد، بوجهة النظر الاسرائيلية سواء في قضايا المفاوضات الثنائية أو الاقليمية. يصر انديك على حيوية رفض منظمة التحرير وفكرة الدولة الفلسطينية، وعلى ضرورة حصار سوريا والضغط عليها وإفهامها أن لا بديل سوى السلام، وعلى إعطاء الأولوية المطلقة لحاجات اسرائيل الأمنية وعدم التضييق، أمريكياً، عليها والفصل، بالتالي، بين المساعدات المقدمة لها وبين الاستيطان.

وقد أدرك أنديك أن تعيينه في هذا المنصب الحساس يمكنه أن يثير ردة فعل عربية غاضبة، لذلك حرص على «طمأنة» المعنيين بقوله انه تلقى عدداً كبيراً من رسائل التأييد بعث بها إليه سفراء ومسؤولون عرب. كذلك اجتمع إلى عدد كبير من الوفود العربية وعرض عليها آراءه فخرجت راضية عن ذلك وكان سوريون وفلسطينيون في عداد الراضين.

لاحقاً وبعد تعيينه، تسرّب لأسبوعية «جويش ويك» حديث دار

بين اندايك وأحد أصدقاء اسرائيل يقول فيه ان على الولايات المتحدة أن لا تكون متوازنة في تعاملها مع العملية السلمية بل عليها أن تضغط على العرب كي يتقبلوا الموقف الاسرائيلي .

## الخاتمة

انتخب الشعب الأمريكي رئيساً جديداً في الوقت الذي تشهد البلاد أزمة اقتصادية واجتماعية، ويعيش العالم تغيرات درامية: من أوروبا الوسطى والشرقية إلى الصين مروراً بأفريقيا والشرق الأوسط. ويضاف التوتر التجاري بين الدول المتقدمة إلى هذه التغيرات، وهو توتر يمكنه أن يتحول، في أي لحظة، إلى حرب اقتصادية.

توضح هذه العوامل أهمية اختيار الأمريكيين لقيادتهم رجلاً ليس ذا تجربة كافية بسبب ابتعاد حزبه عن السلطة منذ ١٢ عاماً. وهو، فوق ذلك، بعيد عن عالم السياسة الخارجية ولا يعرفه بالإلفة نفسها التي يعرفه بها جورج بوش.

وتزداد هذه الأهمية من أن مصير مئات الملايين من غير الأمريكيين مرتبط، إلى حد ما، بجهاز الحكم الأمريكي، وأيضاً بأولويات الرئيس الجديد ومزاجه وحكمته وميوله الأيديولوجية ونفسيته ومبادئه.

من المقدر أن يعمل الرئيس كلنتون كرجل مؤسسة وأن يعيد لها أهميتها وتأثيرها.

إنه نتاج المؤسسة ووفي لها. ولذلك فهو لن يتخذ مواقف فردية وانفعالية.

إنه من النوع الذي يستشير أولاً ثم يستشير ثانياً إلى أن يبلور موقفاً أقرب إلى الحل الوسط. لقد عبر عن هذا الميل في حياته العامة ثم في الحملة الرئاسية، وقد ساعده، في هذه المرحلة الجديدة، انه لم يتعرض إلى أي تحدّ جدي من على يساره كالذي كان يمكن أن يمثله ماريو كومو.

لن يمارس كلنتون ما قام به جيمي كارتر من تصدّ لنفوذ المركز الحكومي ومواجهة لـ «البيروقراطية». سينفذ ما سبق له أن تعلمه في اللجان والمؤسسات الحزبية والحكومية. وإذا طرح برنامجاً اقتصادياً أو مشروعاً حول البيئة أو الضرائب أو خفض النفقات العسكرية فإن ذلك سيكون ثمرة نقاشات وحوارات جديدة في إطار اللجان المختصة.

لقد انتهى العمل بهذا الكتاب في منتصف شهر شباط (فبراير) مع القاء الرئيس بيل كلنتون خطابه «حال الاتحاد». لم يكن قد عقد اجتماعاً واحداً لمجلس الأمن القومي، كما أنه لم يكن، كما يبدو، قد وضع أيّاً من الشؤون الخارجية على جدول أعمال المئة يوم الأولى. تأكد أنه يركز مثل «شعاع اللايزر» على المواضيع المحلية، لا الاقتصادية فقط، ويترك السياسة الدولية لمساعديه. كان كل من وارن كريستوفر وأنتوني ليك وليس آسبين يعكفون على صياغة أوراق العمل والاقتراحات والحلول والمبادرات تاركين للرئيس أن يقرر سلباً أو إيجاباً من غير أن يكون طرفاً مباشراً في النقاشات التمهيدية.

ينبع سلوك كلنتون هذا من خلتين سبق شرحهما. تقوم الأولى على اعطائه الأهمية للوضع الداخلي وتركيز الميزانية الأولى في الكونغرس، خاصة وأنها تتضمن بنوداً وسياسات نادى بها أثناء حملته: رفع بعض الضرائب، تقليص الميزانيات الحكومية، زيادة الانفاق في التدريب والاستثمار. . . وهو يحتاج، في سبيل ذلك، إلى نوع من الهدنة مع الكونغرس.

وتقوم الثانية، وهي لا تقل أهمية، على اتضاح الحقيقة التي أخفتها الحملة بعض الشيء، وهي ضعف اطلاعه على القضايا الخارجية. ولعل التعيينات توضح هاتين الحقيقتين. فقد حصل نوع من التجديد في تسمية المسؤولين عن القطاعات الداخلية في حين بقيت المناصب الخارجية في أيدي الأكثر تقليدية. . .

ينتمي جل المسؤولين عن القضايا المحلية (لوبيات هذه القضايا) إلى القطاع الخاص، غير أن مسحة التجديد جاءت من وجود بعض الإضافات مثل لورا تايسون وروبرت رايش، وهيلاري إلخ. . .

يبقى أن المناصب الأهم والأكثر مركزية في الإدارة هي بين أيدي أناس قليلين أمثال لويد بنستين ورون براون وميكي كانتور في الاقتصاد، وآسين وكريستوفر في الشؤون الخارجية. وتشير هذه التعيينات إلى أن كلنتون ليس معنياً بإيجاد حلول سريعة وأنه يفضل العمل من خلال المؤسسة البيروقراطية والاقتصادية.

ولعله محق في ذلك. فمشاكل الولايات المتحدة، اليوم، سواء كانت الأزمة الاقتصادية أم التحديات الدولية، لا تتطلب حلولاً درامية أو «استثماراً» ضخماً من جانب البيت الأبيض سواء في الجهد أو

السمعة أو الوقت. ان قضايا من نوع البطالة والركود الاقتصادي والتعليم والبنية التحتية والعجز في الميزانية (٣٠٠ مليار دولار)، والديون (٤٠٠٠ مليون دولار) تستدعي معالجات على الأمد الطويل مقرونة بممارسة حذرة جداً للسلطة تبقي على آمال الطبقة الوسطى. وربما كان هذا هو التحدي الأهم الذي يواجه الديمقراطية الليبرالية على الطراز الأمريكي، والقائمة على تقديم الفرد على المجتمع. وفي هذا يقول المفكر جورج كينان في كتابه الأخير «حول الهضبة الشعشاء» (Around the Ragged Hill) «إننا، نحن الأمريكيين، محتاجون أساساً، لنعلم كيف نحتوي أنفسنا في نواحٍ عدة». فالصومال، العراق، النزاع العربي - الاسرائيلي، البنية المستقبلية لحلف شمالي الأطلسي، كوبا، جنوب أفريقيا، «الغات»، التجارة الحرة... هذه كلها تحديات لا تهدد الأمن القومي الأمريكي. لقد عاش هذا المجتمع عقوداً مع مشاكل المخدرات والجريمة واختراق حقوق الانسان في العالم الثالث.

إن قضايا كثيرة تفرع باب البيت الأبيض من نوع المشار إليها آنفاً. إلا أنها، في مجملها، لا توازي الخطر الفعلي الذي واجهته الولايات المتحدة بسبب الخطر النووي الذي كان يمثله الاتحاد السوفياتي. وعلى هذا الأساس يمكن الافتراض أن لروسيا مكانة خاصة في سياسة الإدارة الجديدة التي يرى مسؤولوها وبخاصة آسبين (ذو الدور المؤثر جداً في الخطوط العريضة للاستراتيجية الأمريكية بعد الحرب الباردة) وليك وتوماس بيكرنغ (المنسوب الى موسكو) وستروب تالبوت (المبعوث الخاص لدى الجمهوريات السوفياتية سابقاً)، إنه من الضروري جداً مساعدة بوريس يلتسين على تجاوز الأزمة الاقتصادية وحث الخطى في

الطريق الرأسمالية، ناهيك عن مساعدة أوكرانيا على الانضمام إلى معاهدات تخفيض الأسلحة النووية.

و«الاهتمام» بروسيا، الآن، سياسياً ومادياً، يقطع الطريق على تحدي خطير في المستقبل يبرز من خلال احتمال انفجارها أو انفجار أوكرانيا أو انفجار العلاقة بينهما. ولكن، هنا أيضاً، لا بد من سياسة أمريكية تواكب التحولات الدولية وتكون السياسة حيال روسيا جزءاً منها.

تملك الولايات المتحدة، اليوم، مبادئ تعرضت للاهتزاز بعد حساب الأرباح والخسائر في السنوات الخمس الماضية، وتملك، كذلك، قوة هائلة تستطيع تدمير العالم، لكنها لا تملك هدفاً محدداً. ومن أجل صياغة مبدأ جديد وغاية جديدة وجيش جديد لا بد من قيادة على مستوى عالٍ من المسؤولية والخبرة والشجاعة والابتكار. والملاحظ أن الإدارة الحالية لا تضمّ من يمكنه القيام بذلك كما فعل روزفلت أو ترومان أو أشييسون أو كينان أو حتى، ولو بصورة أقل، نيكسون وكيسنجر. ويزيد هذا النقص من احتمال استمرار جوانب عدة في السياسة السابقة في ظل دعم من قطاع واسع في الإدارة.

من جهة مقابلة لا تكفي «الولسونية الجديدة» لتكون مبدءاً عاماً يتحكم بأسلوب التعامل مع التحدي الذي يمثله نشر الديمقراطية (وفرضها) في العالم. لقد شهدت السنوات الماضية محاولات فاشلة في هذا المجال. ولئن يرضى «الولسونيون»، مثلاً، إذا ما قادت الديمقراطية والانتخابات الحرة إلى وصول الأصوليين إلى السلطة في مصر. أو إذا أدى المزيج المتفجر من الديمقراطية والبؤس في روسيا إلى نوع من الفاشية. من هنا سيكون مطروحاً بإلحاح العمل من خلال مؤسسات

«ديمقراطية» دولية مثل الأمم المتحدة من دون أن تلغي هذه «الجماعة» إمكان الأعمال العسكرية الانفرادية.

يقول المؤرخ آرثر شلينجر «إن الحكومات، عبر التاريخ، تأتي من الأقلية أو انها حكومات الأقلية ولكن الأمل أن تكون هذه ذكية أو أن يكون الرئيس كذلك». ومع أن كلنتون ذكي ومحب للسياسة والتسويات فإن أمريكا أكبر منه، وهي، بالمناسبة، أكبر من أي رئيس. وهكذا لا يمكن إيجاد حلول اقتصادية فعلية لها من غير تدفيع الطبقة الوسطى الثمن علماً أنها الطبقة الوسطى الأكثر تدليلاً في العالم. إنها مطالبة، اليوم، أن تتحمل عبء الإصلاح إما عبر الضرائب أو عبر الانتقاص من ثلاثة أخماس المصاريف الفدرالية التي تذهب لتسديد حقوقها الاجتماعية والطبية والتقاعدية. وهكذا فإن مهمة كلنتون الحقيقية هي مطالبة الطبقة التي انتخبته بكثافة بأن تضحي من أجل حل الأزمة الاقتصادية والاجتماعية.

لقد رأينا كم اخترق كبار الأغنياء وأرباب الشركات الاحتكارية حملة كلنتون أولاً، ثم إدارته الجديدة. وسيكون صعباً اقناع هؤلاء بتحمل عبء الحلول والتعويض عن المديونية الهائلة التي تسببوا بها في الاثنتي عشرة سنة الماضية. ومع أن كلنتون طالب المسؤولين لديه أن يكفوا عن أعمالهم الخاصة للسنوات الخمس المقبلة فقد شرع بعضهم، كروبرت روبين مثلاً، بدعوة زبائنه في شركة الاستشارات «غولدلمان وساكس» إلى البقاء على اتصال معه في منصبه الجديد كرئيس لمجلس الأمن الاقتصادي. وجدير بالذكر أن القانون الأمريكي لم يعاقب، ولو مرة واحدة، أي مسؤول عمل لصالح القطاع الخاص أثناء تسلمه منصبه أو بعده، وهذا لافلت للنظر في بلد يضم ٦ آلاف عضو «لوبي»

مسجل في حين تقدرهم مجلة «نيو ريبليلك» بما لا يقل عن ٨٠ ألفاً!

أما أشخاص مثل براون وكانتور وبنستين وروبين والتان فهم أمثلة نموذجية عن الترابط العضوي بين القطاع الخاص والاحتكارات الكبرى من جهة، والبيروقراطية في واشنطن من جهة ثانية. من هنا ليس مبالغاً فيه توقع أن تترافق زيادة الضرائب على الأكثر غنى، وهؤلاء منهم، مع تقديم عدد من الامتيازات الجديدة لهم.

يبقى أن يسعى كلنتون إلى ترجمة القوة الاقتصادية والعسكرية الأمريكية، وأهمية السوق الأمريكية بالنسبة إلى الدول الصناعية الأخرى، إلى تنازلات اقتصادية وتجارية تقدمها هذه (اليابان - آسيا أو ألمانيا - أوروبا)، وإلى مساعدة مالية لإدارة النظام الدولي الناشئ. وهنا أيضاً فإن القوى المنافسة وشركاتها و«لوبياتها» (بمن فيهم براون وكانتور وبيغر. . .) لن تسائر الإدارة كثيراً. وفي حال وقع التصادم بين هذه القوى الكبرى المتنافسة فإن اقتصاد العالم معرض للإصابة بأضرار كبيرة ترتد، فوراً، على الداخل الأمريكي.

ينطبق هذا الكلام على الشرق الأوسط أيضاً. فالمحافظة على مصالح أمريكا على المدى البعيد، وضمان «أمن إسرائيل»، يتطلبان حلولاً غير آنية ويعنيان «تغييرات جذرية ومديدة». وقد تبين، بعد الأسابيع الأولى، لانتخاب كلنتون، أن اليهود، ذوي الميول الصهيونية، قد خسروا العالم وربحوا الشرق الأوسط في مناصبهم الجديدة، وبالفعل فإن اختيار كريستوفر، وليك وتارنوف هو صفقة للذين سبق لهم معارضة سياسة فانس في الشرق الأوسط. ولكن للذين يتوليان إدارة الحلف فعلاً، اندايك ولويس، هما من المتحمسين

لإسرائيل. وقد جاء تعيين اسبين وولسي ليحسم لصالح الطرف الثاني. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن أي ضغط أمريكي على إسرائيل لن يحصل في إطار الصراع في الشرق الأوسط وإنما في إطار السياسة الأمريكية الدولية. من ذلك، مثلاً، ان «زيادة الفضول» الأمريكي في شأن مفاعل ديمونا النووي وتصنيع البلوتونيوم ليست مرتبطة بالحديث عن وقف سباق التسلح في المنطقة بل بتبلور موقف دولي على صعيد انتاج الأسلحة النووية وانتشارها. فإذا شاءت واشنطن التعاطي مع باكستان أو أوكرانيا في هذا المجال لا بد من «لفتة» في اتجاه إسرائيل. ومن ذلك، أيضاً، قضية المساعدات الخارجية. فهذه مرتبطة بالحاجة إلى احداث قدر من التوفير يتوجه نحو شرقي أوروبا ووسطها. وهذا الأمر هو الذي سمح لباتريك ليهي، رئيس «لجنة توزيع المساعدات» في مجلس الشيوخ أن يصرح في اسرائيل «بأنه ما من بقرات مقدسة» في هذا المجال. ويدل الاتفاق الأمريكي - الإسرائيلي في قضية المبعدين على أن واشنطن إنما رغبت في «ارضاء» مجلس الأمن أولاً وقبل أي شيء.

لقد تحدثنا في مقدمة الكتاب عن فوكوياما وكندي، ها نحن نعود إليهما.

يعترف «الولسونيون الجدد» أن قسماً كبيراً من العالم لن يتغير في اتجاه الديمقراطية الليبرالية بسبب الحواجز الاجتماعية والثقافية وعلى رأسها الأصولية الإسلامية. وفي هذا الاعتراف إشارة إلى حدود «الانتصار» الذي بشر به فوكوياما. أما بول كندي فيقول في كتابه الأخير «تخصيراً للقرن الواحد والعشرين، أن الغرب دخل

الشرق الأوسط عنوة وقسمة عبر حدود غير طبيعية كجزء من دبلوماسية المساومة بعد الحرب العالمية الأولى، ليطور لاحقاً، القوة الأمريكية للحلول محل النفوذ الأوروبي، مقحماً إسرائيل بين الشعوب العربية ومحرّضاً على الانقلابات ضد قيادات شعبية محلية». ويضيف «ان الإشارة إلى هذا العالم مرتبطة ببتروله فقط. وأن الدول الغربية ساهمت في تحويل العالم الإسلامي إلى ما هو عليه اليوم، وذلك بأكثر مما يعترف به المعلقون الغربيون. وإذا كانت الأمم الإسلامية تعذبت من مشاكل هي مصدرها، وإذا كان الكثير من غضبها وأساليبها التصادية في التعامل مع النظام الدولي هو الخوف المزمن والطويل من ابتلاع الغرب، فإن المطلوب توقع قدر من التغيير قبل زوال الخوف».

يأمل أبناء الشرق الأوسط أن يكون الرئيس بيل كلنتون أقرب إلى مدرسة كندي منه إلى أفكار فوكوياما، ولكن الواقع يقول ان الرئيس ومساعديه، هم خليط من الاثنين، وربما كانوا أقرب إلى الثاني.



## المراجع

### ١ - الدوريات

- Aei Foreign Policy & Defense Review, Washington, D.C., American Enterprise Institute  
American Spectator, Bloomington, IN., Alternative Educational Foundation  
Annual Report to the President and Congress, Washington, D.C., Secretary of Defense  
Atlantic Monthly, Boston, MA., Atlantic Monthly CO.  
Aviation Week & Space Technology ,New York, NY., McGraw-Hill Publications  
Backgrounder, Washington, D.C., The Heritage Foundation  
Brookings Papers on Economic Activity, Washington, D.C., Brookings Institution  
Business Week ,New York, NY., McGraw-Hill  
Challenge; the Magazine of Economic Affairs, Armonk, NY., M.E. Sharpe, Inc.  
Christian Century, Chicago, IL., Christian Century Foundation  
Christian Science Monitor, Boston, MA., Christian Science Publishing Society  
Columbia Journalism Review ,New York, NY., Columbia University  
Commentary ,New York, NY., American Jewish Committee  
Commonweal ,New York, NY., Commonweal Publishing Co

Congressional Digest, Washington, D.C., Congressional Digest Corp  
Congressional Quarterly Weekly Report, Washington, D.C., Washington Monitor  
CRS Issue Brief, Washington, D.C., Library of Congress  
Current Biography, Bronx, NY., H.W. Wilson  
Department of State Bulletin, Washington, D.C., U.S. Department of State  
Dialogue, Washington, D.C., U.S. Information Agency  
Dissent, New York, NY., Foundation for the Study of Independent Social Ideas  
Economist, London, The Economist Newspaper Ltd  
Forbes, New York, NY., Forbes Inc.  
Forward, Washington, D.C., Forward Publishing Co  
Foreign Affairs, New York, NY., Council on Foreign Relations, Inc  
Hearings before the Committee on Foreign Relations, Washington, D.C., United States Senate  
International Security, Cambridge, MA., Harvard University  
The Jerusalem Report, Jerusalem, Israel, Jerusalem Report Publications, Ltd  
Journal of Conflict Resolution, Beverly Hills, CA., Sage Publications, Inc  
Journal of International Affairs, New York, NY., Columbia University  
Journalism Quarterly, Columbia, SC., University of South Carolina  
Los Angeles Times, Los Angeles, CA., Times Mirror Co  
Middle East Journal, Washington, D.C., Middle East Institute  
Middle East Report, Washington, D.C., Joe Stork  
Military Review, Fort Leavenworth, KS.,  
Monthly Energy Review, Washington, D.C., U.S. Department of Energy  
Nation, New York, NY., Nation Enterprises, Inc  
National Journal, Washington, D.C., Government Research Corporation  
National Review, New York, NY., National Review  
Near East Report, Washington, D.C., American Israeli Public Affairs Committee

- New Leader ,New York, NY., American Labor Conference  
New Republic, Washington, D.C., New Republic, Inc  
New York Magazine ,New York, NY., News Group Publications,  
Inc  
New York Review of Books ,New York, NY., New York Review,  
Inc  
New York Times ,New York, NY., New York Times Co  
New York Times Biographical Service ,New York, NY., New York  
Times Co  
New York Times Index ,New York, NY., New York Times Co  
New Yorker ,New York, NY., New Yorker Magazine, Inc  
Newsweek ,New York, NY., Newsweek Inc  
Orbis, A Journal of World Affairs, Philadelphia, PA, Foreign Poli-  
cy Research Institute  
Policy Review, Washington, D.C., The Heritage Foundation  
Presidential Studies Quarterly ,New York, NY., Center for the  
Study of the Presidency  
Security Affairs, Washington, D.C., Jewish Institute for National  
Security Affairs  
Survival, London, England, International Institute for Strategic Stu-  
dies  
U.S. News & World Report, Washington, D.C., U.S. News &  
World Report, Inc  
USA Today, Formerly Intellect School & Society, New York, NY.,  
Society for the Advancement of Education  
Vital Speeches of the Day, Southold, NY., City News Publishing Co  
Wall Street Journal ,New York, NY., Dow Jones & Co., Inc  
Washington Journalism Review, Washington, D.C., Washington  
Journalism Review Inc  
Washington Monthly, Washington, D.C., Washington Monthly Co  
Washington Post, Washington, D.C., Washington Post Co  
Washinton Quarterly: A Review of Strategic & International Issues,  
Washington, D.C., Center for Strategic & International Stu-  
dies, Georgetown University  
Washington Times, Washington, D.C., Washington Times  
Weekly Compilation of Presidential Documents, Washington,

D.C., Office of the Federal Register  
Wilson Library Bulletin, Bronx, NY., H.W. Wilson  
World Politics: A Quarterly Journal of International Relations,  
Princeton, NJ, Princeton University Press  
World Press Review ,New York, NY., Stanley Foundation

٢ - الكتب

- Abshire, David M.: Burt, Richard R.; and Woolsey, R. James  
The Atlantic Alliance Transformed  
The Center for Strategic and International Studies, Washington,  
D.C., 1992
- Alexander, Herbert E., Financing Politics: Money, Elections, and  
Political Reform, Congressional Quarterly Press
- Beyle, Thad L., State Government: CQ'S Guide to Current Issues  
and Activities, 1985-86 and Bradlee, Benjamin C., Con-  
versations With Kennedy, Norton, 1975
- Brenner, Lenni, Jews in America Today, Lyle Stuart Inc., 1986
- Brzezinski, Zbigniew, Power and Principle, Ferrar, Straus and  
Giroux, New York, 1983
- Carter, Kimmy, The Blood of Abraham, Houghton Mifflin, Boston,  
1985
- Carter, Jimmy Keeping Faith, Bantam Books, New York, 1982
- Clinton, Governor Bill, Putting People First, 1992
- Davis, James W., Presidential Primaries, Greenwood Press, 1980
- Dershowitz, Toby,  
The Reagan Administration and Israel, Findley, Paul, ed. Aidac,  
1987
- Foreign Policy Association, Editors of the, Elections 1992, Guide to  
The U.S. Foreign Policy Issues, Foreign Policy Association
- Findley, Paul, They Dare to Speak Out, Lawrence Hill & Company,  
1985
- Freedman, Leonard, Power & Politics in America, Brooks/Cole  
Publishing Co., 6th ed., 1991
- Greer, John G., Nominating Presidents, Greenwood Press, 1989
- Hargrove, Erwin C. and Nelson, Michael, Presidents, Polittics, and  
Policy, John Hopkins University Press Ltd., London, 1984

- Kissinger, Henry, *White House Years*, Little Brown, Boston, 1979
- Lenczowski, George, *American Presidents and The Middle East*, North Carolina, Duke University Press, 1990
- MacArthur, John *Second Front*, Hill and Way, 1992
- Nelson. Michael, ed., *Guide to the Presidency*, Congressional Quarterly
- Nelson, Michael, ed., *Historic Documents on Presidential Elections 1787–1988*, Congressional Quarterly, 1991
- Platt, Alan, ed., *Arms Control and Confidence Building in the Middle East*, United States Institute for Peace, 1992
- Reichley, A. James, ed., *Elections American Style*, The Brookings Institute, 1987
- Reinsch, Leonard, *Getting Elected*, Hippocrene Books, Inc., 1988
- Rosenthal, Alan, *Governors & Legislators: Contending Powers*, Congressional Quarterly Inc., 1990
- Schram, Marshall and Martin, *Mandate for Change*, Washington, D.C., The Progressive Policy institute, 1993
- Schwartz, Michael, ed., *The Structure of Power in America*, Holmes & Meier, 1987
- Smith, Jeffrey A., *American Presidential Elections*, Praeger, 1980
- Spiegel, Steven, *The Other Arab-Israeli Conflict*, University of Chicago Press, 1985
- Steed, Robert P. Baker, Tod A. and Moreland, Laurence W., eds., *The 1984 Presidential Election in the South*, Praeger Publishers, 1986
- U.S. News & World Report, *Triumph Without Victory*, Random House, 1992
- Vance, Cyrus, *Hard Choices*, Simon and Schuster, 1983
- Washington Institute for Near East Affairs, *Pursuing Peace; An American Strategy for the Arab-Israel, Peace Process*, 1992
- Watson, Richard, *The Presidential Contest*, John Wiley & Sons, 1980



## المحتويات

٧	استحقاقات الديون
٩	مقدمة
١٧	الفصل الأول: رحلة كلنتون إلى البيت الأبيض
٢١	- محطتنا الحزب والجنوب
٢٨	- الاقتصاد
٣٦	- منحة رودس
٣٧	- الانتخابات
٤٢	- دور المال: الاستثمار في الانتخابات
٤٥	- القطاع الخاص والاستثمار في كلنتون
٥٠	- الاعلام
٥١	- كلنتون: نجم اعلامي
٥٧	- كلنتون الإنسان
٦٣	الفصل الثاني: الرئاسة وسياساتها ورموزها
٦٩	- السياسة الخارجية
٧٦	- السياسة الاقتصادية

٨١	.....	- وارن كريستوفر
٨٨	.....	- آل (البرت) غور
٩٠	.....	- ليس آسبين
٩٢	.....	- جيمس وولسي
٩٨	.....	- انتوني ليك
١٠٣	.....	- العلاقة مع كلنتون
١٠٥	.....	- الشرق الأوسط
١١٧	.....	الخاتمة
١٢٧	.....	المراجع